النورسي

الرائد الإسلامي الكبير

تأليف

الدكتور محسن عبد الحميد

أستاذ في جامعة بغداد


النورسي
الرائد الإسلامي الكبير

شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة
عراق - موصل - شارع النجفي. هاتف: ٧٦٤٨٣٨ ص.ب: ٤٦٢ . تلكس: ZAHRA 298064



تأليف

الدكتور محسن عبد الحميد
أستاذ في جامعة بغداد



مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين.

أما بعد:

فلقد نشرت قبل ثلاث سنوات، في مجلة «دعوة الحق» المغربية بحثا حول حياة الاستاذ سعيد النورسي ورسائله وآرائه، من أجل تعريفه لاخواننا المغاربة، من منطلق كونه رحمه الله تعالى، عالما جليلا ومفكرا كبيرا وداعية ثبتا دعا الى الله تعالى على بصيرة وأثر في حياة تركيا الحديثة تأثيرا اسلاميا واضحا. وانتشرت رسائله وكتبه في نواحيها كلها، فانارت جنباتها بنور القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. من خلال عرضه الرائع لمبادىء العقيدة الاسلامية، وتعليله الدقيق لحكمة تشريعاته العادلة، وكشفه المخلص لما كان يبيته الأعداء للمسلمين جميعا، من كيد وتزييف وتحريف، لكل مايؤمنون به من عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخ.

ولم يكن ماكتبه الاستاذ النورسي خطابا لمسلمي بلده

فحسب، وانما كان توجيها ودعوة للمسلمين جميعا، الذين كانوا يمرون يومئذ، بسقوط ايماني وحضاري خطير، على تباعد ديارهم وتنوع ظروف حياتهم.

ولقد رأيت من المناسب أن أنشر ذلك البحث الموجز، عله يقوم بدوره المتواضع في تعريف قراء اللغة العربية الشريفة بهذه الشخصية الاسلامية الكبيرة، الذي عاش حياته المأساوية الطويلة، منافحا عن بيضة الاسلام، حاملا على كتفيه هموم المسلمين خاصة، والانسانية الشقية بالمذاهب المادية عامة.

فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، وحشره مع الصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

د. محسن عبدالحميد
بغداد - كلية التربية
٧ رمضان المبارك ١٤٠٧هـ

عصر النورسي :

عصر النورسي، وهو نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري، كان يتسم بالقلق الحضاري والاضطراب السياسي والتفكك العام الذي اشتد نخرهُ في جسم الدولة العثمانية بفعل عوامل داخلية وخارجية متنوعة.

وكانت هذه الدولة يومئذ آخذة بالسقوط وعدم السيطرة على ممالكها الواسعة التي كانت أوربا قد تهيأت لابتلاعها بعد تخطيط عشرات المشاريع التي اشتركت في رسمها الدول الأوربية الاستعمارية بمعاونة ومباركة كنائسها المختلفة كافة.[1]

لقد بذل السلطان عبدالحميد الثاني وسعه في سبيل المحافظة على الوضع والتفكير الجدّي لايقاظ الأمة الاسلامية وإنقاذ الدولة والوقوف أمام الأطماع الأوربية طوال سنوات حُكمه، متوسلاً في ذلك بدهائه السياسي ومحاولاً تقوية الرابطة الاسلامية بين المسلمين، ولكن الظروف السياسية والحضارية في عهده كانت أقوى من محاولاته، بل وجد أعداء الأمة والدولة في بقائه خطراً أكيداً على مصالحهم، فخططوا لاسقاطه، فأمر الشرق

(١) حاضر العالم الاسلامي - شكيب أرسلان (تعليقات) ٣ / ٢٠٨

الأعظم الماسوني الايطالي أعوانه الماسونيين في جمعية الاتحاد والترقي بعزله بعد رفضه القاطع تسليم فلسطين الى اليهودية العالمية. وقد تم ذلك حيث أجبره الجيش الذي زحف من «سلانيك» على التنازل فأتوا من بعده بأخيه محمد رشاد (الخامس) الذي كان ضعيفا جدا حتى غدا ألعوبة بيد الاتحاديين الماسونيين.

ولقد تظاهرت جمعية الاتحاد والترقي في بداية الأمر بشعارات براقة وهي الحرية والاخاء والمساواة، إلا أن حقيقتها سرعان ما ظهرت عندما اتبعت سياسة عنصرية إرهابية، ففتكت بمعارضيها واضطهدت العناصر غير التركية في داخل الدولة، مما دفع الأقوام التي كانت تربطها الرابطة الاسلامية بالأتراك عبر العصور بالتفكير في إنقاذ نفسها من ذلك الوضع الشاذ غير الاسلامي.[٢]

ولم يكتف الاتحاديون بذلك، بل دفعوا بتخطيط من الماسونية العالمية، الدولة العثمانية، إلى الحرب بجانب ألمانيا، الأمر الذي أدى إلى هزيمتها وتمزقها وتوزيع أملاكها بين الدول المنتصرة في تلك الحرب.

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى توفي السلطان محمد رشاد (١٣٣٦هـ/١٩٣٨م) وجاء بعده محمد وحيدالدين (السادس) الذي كان يكره الاتحاديين ويتربص بهم الدوائر، ولكنه لم يكن

---

2) I.H.Danişmend, Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi,4,402-406

يستطيع أن يفعل أي شيء ضدهم. وعندما احتل الحلفاء اسطنبول وقع السلطان محمد السادس أسيرا بأيديهم، فضيق عليه، وحيل بينه وبين الأمة. فلم يجد السلطان مناصا من أن يكلف سرا أحد الضباط الذي كان تربطه به صداقة سابقة قبيل ارتقائه عرش الخلافة، وهو مصطفى كمال، فأرسله إلى الأناضول وزوده بأمر سلطاني إلى قادة الجيش جميعهم كي يتعاونوا معه لتهيئة الصفوف لجهاد المستعمرين وطردهم من تركيا.[٣]

وقد تم ذلك في حروب اشترك فيها أبناء الشعب المسلم بحماسة إسلامية منقطعة النظير منطلقين من عقيدة الجهاد في سبيل الله سُميت بـ(حروب الاستقلال) فاستطاعوا فيها طرد المحتلين اليونانيين من الغرب والروس من الشرق.

ولما استقر الوضع لمصطفى كمال قام بموجب معاهدة (لوزان) التي فرضها الحلفاء بالغاء الخلافة الاسلامية وصادر أملاك الأوقاف ومنع قراءة القرآن باللغة العربية التي كان يكرهها جدا، حيث بدل حروف الكتابة العربية الى الكتابة اللاتينية،

---

(٣) جريدة «بوكون Bugün» التركية اعداد تموز سنة ١٩٦٨م، حيث كتب الكاتب التركي الكبير المرحوم نجيب فاضل سلسلة مقالات حول السلطان وحيد الدين (محمد السادس) واثبت فيها بوثائق تاريخية دامغة هذه القضية. ثم جمعت هذه المقالات ونشرت في كتاب خاص. انظر ايضاً كتاب (الرجل الصنم) ص ١٢٧ - ١٧٣ وهو كتاب تاريخي حديث ومهم جداً حول حياة مصطفى كمال وانقلاباته اللادينية بقلم ضابط تركي متقاعد، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ط. الثانية ١٣٩٨ هـ.

وأعلن العلمانية. ومنع النشاط الاسلامي كله وحول الاذان الشرعي إلى الاذان باللغة التركية وحول مساجد كثيرة إلى مخازن ومتاحف، وخطط للقضاء على الاسلام نهائيا في تركيا. وفي سبيل ذلك فتك بمعارضيه وقبض على الحكم بيد من حديد وقاد علماء الاسلام إلى المشانق والسجون.

وصل الأمر في محاربة الايمان والاسلام إلى حد أن دائرة معارف «الحياة» التركية الرسمية أنكرت صراحة وجود الله سبحانه وتعالى، ولعل هذا الاقتباس منها يلقي ضوءاً ساطعا على الانكار الذي لم يظهر بهذه الصراحة في أي مكان آخر يومئذ في العالم الاسلامي.

(ان الفكرة التي تريد الأديان، الموجودة حاليا أن تثبتها هي أن الله واحد وأنه هو الذي خلق الكون. ولكن التقدم العلمي بدأ يوضح شيئا فشيئا بأن هذه الفكرة باطلة وأنه لا وجود لشيء اسمه (الله). وقد انتشرت فكرة عدم الاعتقاد بالله بين أوساط المثقفين). [٤]

---

(٤) Hayat Ansiklopedisi 1932 Ist. - ١ / ١٣٢

وادعاء ان التقدم العلمي يرفض عقيدة الاله افتراء محض على العلم، والعكس هوالصحيح. فالتقدم العلمي في القرن العشرين وضع يده على نظام الكون الدقيق جداً بحيث ذهب معظم العلماء الافذاذ الى أن اسناد خلق الكون الى الصدفة العمياء مستحيل علمياً في حد ذاته، بل ان قوانين الفيزياء الحديثة تثبت حدوث العالم. . راجع: «العلم يدعو للايمان» للدكتور كريس موريسون. و«الله يتجلى في عصر العلم» لمجموعة من كبار علماء العالم. وسلسلة الابحاث العلمية التي ترجمهااورخان محمدعلي. منها: اسرار الذرة ومولد الكون، والانسان معجزة الحياة، وداروين ونظرية التطور وغيرها.

هذا زيادة على تدريس اللادينية في المدارس والهجوم على القرآن الكريم والرسول الأمين عليه الصلاة والسلام علنا في مناهجها، حتى قرر تدريس الفلسفة المادية في الصفوف الأولى في المتوسطات لترسيخ الجحود بالألوهية وإنكار الحياة الأخرى واتهام الشريعة الاسلامية بالجمود والرجعية والتأخر.

وبجانب هذا فقد استبدل بأحكام الشريعة الغراء القانون السويسري، وفرض لبس القبعة «الشفقة» بقوة القانون على الناس، مع وضع الحياة الاجتماعية الغربية بدل الحياة الاجتماعية الاسلامية.

حياته :

في قرية «نورس» من قرى ولاية «بتليس» في شرقي الأناضول وفي أسرة كردية صالحة تقية، ولد سعيد النورسي سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٣م.

كانت أسرته تشتغل بالفلاحة، فتوجه هو إلى التعليم في الكتاتيب والمدارس الدينية، وكان يأخذ دروسه على أخيه «الملا عبدالله» وغيره من العلماء، واقتصرت دراسته في هذه الفترة على الصرف والنحو. ثم بدأ ينتقل في القرى والمدن بين الأساتذة والمدارس ليتلقى العلوم الاسلامية من كتبها المعتبرة بشغف عظيم. وكان يساعده في ذلك ذكاء خارق اعترف به أساتذته جميعهم بعد اختبارات صعبة، كان يجريها له كلٌ منهم، واجتمع له مع الذكاء قوة الحافظة بحيث إنه درس وحفظ كتاب «جمع الجوامع» في أصول الفقه - وهو كتاب معروف بصعوبته - في أسبوع واحد، وشهد له أستاذه كتابةً على ظهر نسخته.[٥]

---

(٥) Tarihçe-i Hayat (سيرة ذاتية) ص ٣٦ .

ولم تلبث شهرة هذا الشاب أن انتشرت بعد أن أفحم في مناقشاته علماء منطقته جميعا فسموه بـ(سعيد المشهور) ثم ذهب إلى «بتليس» ومنها إلى مدينة «تيلو» حيث اعتكف مدة في أحد أماكن العبادة وحفظ هناك قاموس المحيط للفيروز ابادى إلى باب السين.(٦)

وفي سنة ١٨٦٢م ذهب (الملا سعيد) إلى مدينة «ماردين» حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة ويجيب على أسئلة الناس. ثم وُشيَ به إلى الوالي فأصدر أمرا باخراجه، وسيق الى «بتليس» فلما عرف واليها حقيقة هذا الشاب العالم ألح عليه أن يقيم معه. وهناك وجد الفرصة سانحة لمطالعة الكتب العلمية الاسلامية، لاسيما في الفلسفة وعلم الكلام والمنطق وكتب التفسير والحديث والفقه والنحو حتى بلغ محفوظُه من متون هذه العلوم «ثمانين متناً» وفي هذه المدينة أخذ آخر دروسه الدينية من العالم الجليل الشيخ محمد الكفروي.(٧)

وفي سنة ١٨٩٤م ذهب إلى مدينة «وان» وانكب فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء وعلم طبقات الأرض «الجيولوجيا» والفلسفة الحديثة والتاريخ والجغرافية حتى تعمق فيها إلى درجة إفحام الأساتذة المختصين فسُمّي لأول مرة بـ«بديع الزمان» اعترافا من أهل العلم بذكائه

---

(٦) المصدر السابق ص: ٣٨ - ٣٩

(٧) المصدر السابق ص: ٤٢ - ٤٤

الحاد وعلمه الغزير.[8]

وفي هذه الأثناء قرأ بديع الزمان في الجرائد المحلية أن وزير المُستعمرات البريطاني «غلادستون» صرح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلا: «مادام القرآن بيد المسلمين، فلن نستطيع أن نحكمهم. لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به».

زلزل هذا الخبر كيانه وأقض مضجعه، وأدرك بذكائه وحسه الاسلامي أن المسألة جد خطيرة وأن الغرب مُقدم على هجوم مخطط شامل على الاسلام والمسلمين، ومن هنا فقد قرر شدّ الرحال إلى اسطنبول عام ١٨٩٦م ليقدّم مشروعا لانشاء جامعة إسلامية حديثة في شرقي الاناضول تقوم بمهمة نشر حقائق الاسلام وعلومه ودعوة المسلمين إلى التقدم العلمي والاهتمام بترقية حياتهم المادية والمعنوية، إلا أنه لم يلق العون من المسؤولين، فرجع خائبا إلى الشرق.[9]

وفي سنة ١٩٠٧م ذهب مرة أخرى إلى اسطنبول. وكانت شهرتُه العلمية هذه المرة سبقته إليها. فتجمّع حوله الطلبة والعلماء يسألونه وهو يجيب في كل فن بغزارة نادرة، فاعترف له الجميع بالامامة وبأنهم لم يشاهدوا في علمه وفضله أبدا.

---

(٨) المصدر السابق ص: ٤٥

(٩) المصدر السابق ص: ٤٧ - ٤٨

يسرد العالم التركي السيد «حسن فهمي باش أوغلو» ذكرياته حول لقائه به فيقول:

«عندما جاء شاب يدعى بديع الزمان إلى اسطنبول كنت أدرس في مدرسة «الفاتح» وسمعت أنه علق لوحة على باب غرفته يقول ما معناه:

«هنا يحل كل أمر معقد ويجاب عن كل سؤال ولكنه لا يسأل أحدا».

وقد تبادر إلى ذهني بأن صاحب مثل هذا الادعاء لابد أن يكون مجنونا، ولكن توالى الثناء على «بديع الزمان» من قبل الجميع من الطلاب والعلماء الذين قاموا بزيارته أثار في نفسي الرغبة لزيارته وقد قررت أن اختار أعقد الأسئلة وأدقها لأسأله، وكنت آنذاك أعتبر من المتقدمين المتفوقين في المدرسة. وأخيرا وفي إحدى الأمسيات اخترت من الكتب التي تبحث عن «الالهيات» بعض الموضوعات المعقدة التي لا يمكن الاجابة عليها إلا بمجلدات من الكتب.

وفي اليوم التالي ذهبت لزيارته ووجهت إليه الأسئلة. وقد كانت أجوبته عجيبة وخارقة ومدهشة، إذ أجابني وكأنه كان معي بالأمس ينظر إلى تلك الكتب فأصبحت موقنا ومطمئنا أن علمه ليس كسبيا كعلمنا. بل هو علم لدني». [١٠]

وفي اسطنبول يقابل السلطان عبدالحميد ويقدم إليه طلبا

---

(١٠) Bilinmeyen Taraflariyle Bediüzzaman Said Nursi (بديع الزمان سعيد النورسي وجوانب مجهولة من حياته) - نجم الدين شاهين أر - ص: ٨٠ - ٨٢

بفتح المدارس التي تعلم العلوم الكونية الحديثة بجانب العلوم الاسلامية، حيث كان يؤمن بضرورة الدراسة المندمجة وعدم الفصل بينهما.

ولحماسته الشديدة في عرض رأيه وجرأته على محاسبة السلطان، تحيله حاشيته بعد خروجه إلى طبيب الأمراض العقلية للتأكد من سلامة عقله، فيكتب الطبيب المختص ضمن تقريره: «لو كانت هناك ذرة واحدة من الجنون عند بديع الزمان فمعنى ذلك أنه لا يوجد على وجه الأرض كلها عاقل واحد». وعلى إثر ذلك يُرسل بديع الزمان إلى وزارة الداخلية حيث يقابله الوزير. وتجري بينهما المحاورة الآتية:

الوزير: إن السلطان يخصك بالسلام مع مرتّب بمبلغ ألف قرش، وعندما تعود إلى بلدك يجعل مرتّبك ثلاثين ليرة كما أرسل لك ثمانين ليرة كهدية سلطانية لك.

بديع الزمان: لم أكن أبدا متسول مرتّب، ولن أقبله ولو كان ألف ليرة لأنني لم آت لغرض شخصي وإنما لمصلحة البلد، فما تعرضون علي ليس سوى رشوة السكوت.

الوزير: إنك بهذا ترد الارادة السلطانية والارادة لا تُرد.

بديع الزمان: إنني أردّلكي يستاء السلطان ويستدعيني عند ذلك استطيع أن أقول له قولة الحق.

الوزير: إن العاقبة تكون غير سارة.

بديع الزمان: تعددت الأسباب والموت واحد، فلئن أعدم فسوف أرقد في قلب الأمة، علما أنني عندما جئت إلى اسطنبول

كنت واضعاً روحي على كفي . . اعملوا ما شئتم فإني أعني ما أقول. إنني أريد أن أوقظ أبناء الأمة و أقوم بهذا العمل لأنني فرد من هذا البلد لا لأقتطف من ورائه مرتباً، لأن خدمة رجل مثلي للدولة لا تكون إلا باسداء النصائح وهذه لا تتم إلا بحسن تأثيرها، وهذا لا يتم إلا بترك المصالح الشخصية فإنني معذور إذن عندما أرفض المرتّب.

الوزير: إن ما ترمي إليه من نشر المعارف في بلدك هو موضع دراسة في مجلس الوزراء حاليا.

بديع الزمان: إذن فلِمَ يتأخر نشرُ المعارف ويُستعجل في أمر المرتب؟ لماذا تُؤثرون منفعتي الشخصية على المنفعة العامةللأمة؟. [11]

وفي هذه الفترة، ظهرت آراؤه بوضوح في الاصلاح والدعوة إلى الشورى الاسلامي والعودة إلى الشريعة، سواء في مقالاته في الصحف أو مقابلاته مع المسؤولين أو تجواله بين الناس. [12]

ولآرائه تلك حاولت جمعية الاتحاد والترقي الاتصال به وكسبه إلى صفها، إلا أن بديع الزمان يفوّت عليهم الفرصة ويصفهم بأنهم المعتدون على الدين والدائرون ظهورهم إلى الشريعة.

وفي «سلانيك» طلب اليهودي المشهور «عمانوئيل قره صّو»

---

(١١) المصدر السابق ص: ٩٥ - ٩٦

(١٢) (سيرة ذاتية) ص: ٧٤ - ٧٦

رئيس المحفل الماسوني وعضو مجلس المبعوثان (النواب) العثماني مقابلته طمعاً في التأثير عليه وجرّه إلى صفه باعتبار شخصيته المشهورة، وقد قبل مقابلته، ولكن ما لبث أن خرج اليهودي من عنده قائلا: «لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجّني بحديثه في الاسلام». [١٣]

ومن المعروف في التاريخ العثماني الحديث أن قره صو هذا هو أول صهيوني ماسوني عمل على قلب الخلافة وخلع السلطان عبدالحميد، وكان من ضمن الداخلين عليه يوم خلعه رحمه الله تعالى، وتألم السلطان جدا عندما رآه!!

وبعد قيام حركة الاتحاد والترقي وثبوت تبعية الاتحاديين إلى الجمعية الماسونية اليهودية في سلانيك[١٤] بدأ بديع الزمان يهاجم الاتحاديين من خلال جمعية «الاتحاد المحمدي» فألقي عليه القبض وقُدّم إلى محكمة عسكرية بدعوى مطالبته بعودة الشريعة وفي المحكمة ألقىٰ دفاعا جريئا صريحا بليغا أثر في رئيس وأعضاء المحكمة فحكموا ببراءته، نقتطف منه مايلي:

«لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة

---

(١٣) (بديع الزمان سعيد النورسي وجوانب مجهولة من حياته) ص: ٩٩

(١٤) لقد ثبت قطعا ان الاتحاد والترقي كانت جمعية ماسونية يهودية، وان المقصود منها كان تخريب الدولة العثمانية واسقاطها وتوزيع املاكها بين الدول الاستعمارية حتى تأتي الفرصة السانحة لتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين الذي كان السلطان عبدالحميد معارضاً له (دور اليهود والماسونيين في الانقلاب العثماني) مجلة (آفاق عربية - بغداد - عدد / ٩ لسنة ١٩٧٨م) وهو تقرير السفير الانجليزي في اسطنبول عام الانقلاب وبعده.

واحدة من حقائق الاسلام.. فقد قلت إنني طالب علم لذا فأنا أزن كل شيء بميزان الشريعة. إنني لا اعترف إلا بملة الاسلام، إنني أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذي تسمونه السجن في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة، لا لتسمعوا أنتم وحدكم بل ليتناقله العالم كله: ألا لقد حان للسرائر أن تنكشف وتبدو من أعماق القلب، فمن كان غير محرم فلا ينظر إليها: إنني متهيء بشوق إلى قدومي للآخرة... وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا في المشانق.

تصوروا ذلك البدوي الذي سمع عن غرائب اسطنبول ومحاسنها فاشتاق إليها. إن نفيكم أياي إلى هناك لا تعتبر عقوبة... لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد، والآن فإنها تعادي الحياة. وإذا كانت هذه الحكومة هكذا. فليعش الجنون وليعش الموت وللظالمين فلتعش جهنم. (١٥)

وبعد براءته من المحكمة رجع إلى «وان» حيث بدأ بإلقاء دروسه ومواعظه بين العشائر مؤلفا كتابا سماه بـ «المناظرات». (١٦)

وفي سنة ١٩١١م زار بلاد الشام وألقى محاضرة علمية بليغة في الجامع الأموي، دعا فيها المسلم إلى الأمل واليقظة

---

(١٥) Divan-ı Harb-i Örfi - النورسي - ص: ١٠ - ١١. والترجمة للدكتور البوطي من كتاب (من الفكر والقلب) ص: ٣٠٩-٣١٠

(١٦) (سيرة ذاتية) ص: ٧٤

والنهوض والتمسك بالاسلام العظيم. وقد طبعت هذه الرسالة باسم «الخطبة الشامية».ومن دمشق ذهب إلى بيروت فاسطنبول وقابل السلطان محمد رشاد، فعرض عليه مشروعه القديم بتأسيس جامعة إسلامية في الشرق، فوعده السلطان والحكومة العثمانية وعدا قاطعا بذلك. غير أن الحرب العالمية الأولى حالت دون تنفيذ المشروع.

وفي سنة ١٩١٢م وقبيل نشوب «حرب البلقان» عين بديع الزمان قائدا للقوات الفدائية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرقي الأناضول. وقبيل الحرب العالمية الأولى أصبح عضوا في تشكيلات خاصة «وهي مؤسسة سياسية وعسكرية وأمنية سرية شُكلت بأمر من السلطان ووظيفتها هي المحافظة على وحدة أراضي الدول العثمانية ومحاربة أعدائها، وكان من بين أعضائها كثير من العلماء والكتاب ورجال الفكر.[١٧]

وعلى الرغم من معارضة النورسي لدخول الدولة العثمانية في الحرب، فأنه لما أعلنت اشترك هو وتلاميذه الثلثمائة في مدرسته في الحرب ضد روسيا التي هاجمت من جهة القفقاس. وعندما دخل الجيش الروسي مدينة «بتليس» دافع هو وتلامذته عن المدينة دفاعا مستميتا، حتى جرح جرحا بليغا وأسر من قبل الروس وأخذ إلى شرقي روسيا.

---

(١٧) (سعيد النورسي وجوانب مجهولة من حياته) ص: ١٤٨

وفي الأسر وقعت له حادثة كادت أن تؤدي به إلى الاعدام وتفصيلها على مايلي:

كان خال القيصر والقائد العام للجبهة الروسية «نيقولا نيقولافج يزور الأسرى فقام جميع الأسرى لأداء التحية ما عدا «سعيد النورسي».

لاحظ القائد العام ذلك، فرجع ومر ثانية أمامه، فلم يقم له كذلك، وفي المرة الثالثة وقف أمامه وجرت بينهما المحاورة الآتية بوساطة المترجم:

- الظاهر أنك لم تعرفني؟

- بلى... لقد عرفتك، إنك نيقولا نيقولافج، خال القيصر والقائد العام في جهة القفقاس.

- إذن فلم تستهين بي؟

- كلا، إنني لم أهن أحدا وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي؟

- وماذا تأمرك عقيدتك؟

- إنني عالم مسلم، أحمل في قلبي إيمانا، فالذي يحمل في قلبه إيمانا هو أفضل من الذي لا إيمان له. ولو أنني قمت لك لكنت إذن قليل الاحترام لعقيدتي ومقدساتي، لذلك فإنني لم أقم لك.

- إذن فإنك باطلاقك علي صفة عدم الايمان تكون قد أهنتني وأهنت جيشي وأمتي والقيصر كذلك، فيجب تشكيل محكمة عسكرية للنظر في هذا الأمر.

تشكلت المحكمة العسكرية وقدم إليها سعيد النورسي بتهمة إهانة القيصر والأمة الروسية والجيش الروسي.

ويسود حزن عميق في معسكر الأسرى، ويلتف حوله الضباط الأسرى من الأتراك والألمان والنمساويين ملحين عليه القيام بالاعتذار للقائد الروسي وطلب العفو منه، إلا أنه رفض باصرار قائلا لهم:

«إنني أرغب في الرحيل إلى الآخرة والمثول بين يدي رسول الله ﷺ لذلك فإنني بحاجة فقط إلى جواز سفر للآخرة، وأنا لا أستطيع أن أعمل بما يخالف إيماني».

وتصدر المحكمة قرارها باعدام النورسي، وفي يوم التنفيذ تحضر ثلة من الجنود على رأسها ضابط روسي لأخذه الى ساحة الاعدام ويقوم النورسي من مكانه بابتهاج قائلا للضابط الروسي:

«أرجو أن تسمح لي قليلا لأؤدي واجبي الأخير» فيقوم ويتوضأ ويصلي ركعتين.

ويؤثر هذا المنظر الرهيب في نفس القائد العام الروسي الذي كان واقفا يراقب الأمر عن كثب، فيتقدم إلى النورسي ويقول له بعد فراغه من صلاته: «أرجو منك المعذرة، كنتُ أظنك قد قمت بعملك قاصدا إهانتي ولكنني واثق الآن أنك كنت تنفّذ ما تأمرك به عقيدتُك وإيمانُك، لذا فقد أبطلت قرار المحكمة، وإنني أهنئك على صلابتك في عقيدتك وأرجو المعذرة مرة أخرى». (١٨)

---

(١٨) المصدر السابق. ص: ١٧٤ - ١٧٥

وبعد أن مكث سعيد النورسي في الاسر حوالي سنتين ونصف، عانى من للوحدة والوحشة والغربة الكثير، هرب منه بأعجوبة إثر حدوث الثورة على القيصرية، فوصل إلى ألمانيا ماراً بوارشو وفينا، ثم عاد إلى اسطنبول فعين عضوا في دار الحكمة الاسلامية سنة ١٩١٨م،(١٩) وكانت عضوية الدار يومئذ لا توجه إلا إلى كبار العلماء. وكان أحد أسباب ترشيح النورسي أطلاعه الواسع على علم الحديث النبوي.(٢٠)

وقد خصصت له الحكومة راتبا كبيرا، كان يأخذ منه قدر حاجته والباقي يطبع منه كتبه ورسائله الاسلامية فيوزعها مجانا على الناس.

وبعد دخول الجيوش الاستعمارية إلى اسطنبول، أحس «النورسي» أن طعنة كبيرة وجهت إلى العالم الاسلامي، ولذلك شمر عن ساعد الجد، فبدأ بتأليف كتاب سماه ب «الخطوات الست» وأخذ ينشره بمساعدة أتباعه وأصدقائه وطلابه سراً بين الناس، وقد هاجم فيه الانجليز والمستعمرين بشدة ودعا إلى الجهاد ضدهم وحارب اليأس الذي استولى على كثير من

---

(١٩) Lemalar – النورسي – (اللمعات). ص: ٢٢٠. رسالة «الشيوخ» ترجمة احسان قاسم الصالحي – ص: ٢٧ – ٢٩.

(٢٠) يذكر المؤرخ التركي «اسماعيل حقي» انه استفسر من استاذه الشيخ مصطفى صبري (شيخ الاسلام) عن السبب الذي دعاهم الى ضم النورسي ضمن عضوية «دار الحكمة الاسلامية» فاجابه: «انه ضليع بعلم الحديث النبوي الشريف» انظر: (المفكرون يتكلمون) لنجم الدين شاهين أر. Aydinlar Konuşuyor ص: ٣٣

الناس. (٢١)

وعندما قامت حركة المقاومة ضد المحتلين في الأناضول أصدر مع مائة وإثنى عشر مفتيا وعالما فتوى بتأييد الحركة، ولشهرته وجهاده ضد أعداء الاسلام دعي من قبل حكومة أنقرة عدة مرات، فتوجه إليها سنة ١٩٢٢م حيث استقبل في المحطة استقبالا حافلا، ولكن سرعان ما خاب ظنه في رجالات هذه الحكومة، إذ وجد أن معظمهم لا يصلون ولا يؤدون الفرائض الاسلامية الأخرى، ولا يهمهم من أمر الاسلام شيء بل يريدون ابعاد تركيا عن الاسلام نهائيا، فوجه إلى المجلس خطابا بليغا مؤثرا بدأه بقوله:

«أيها المبعوثون، إنكم مبعوثون ليوم عظيم» فرجع على أثره ستون نائبا إلى أداء فريضة الصلاة، فأزعج هذا مصطفى كمال. فحصلت بينهما مشادة عنيفة، وكان مما قال له:

- لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك، لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة، ولكن أول عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة، لقد كان أول جهودكم هنا هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس.

فأجابه بديع الزمان مشيرا إليه بأصبعه في حدة:

«يا باشا... باشا... إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الايمان هي الصلاة وإن الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود».

---

(٢١) (سيرة ذاتية) ص: ١٢٣

وقرر الباشا على أثره ابعاده إلى شرق الأناضول عن طريق تعيينه واعظا عاما هناك، ولكن النورسي رفض ولم يذهب. فظل في أنقرة يؤلف الرسائل في اثبات وجود الله وترسيخ العقيدة الاسلامية، لمقاومة الانحراف الذي بدأ يدخل في المجتمع نتيجة لتأثير بعض من أفراده بالمذاهب المادية التي جاءتهم من الغرب[٢٢].

بعد ثمانية أشهر قضاها في انقرة قرر التوجه إلى مدينة «وان» في سنة (١٩٢٣م) وكان يقضي أيامه في خرائب قديمة مهجورة على جبل «أرك» متعبدا متأملا. ومع ذلك فإن الحكومة لم تطمئن لوجوده طليقا فأرسلت ثلة من الجند اعتقلته ونقلته إلى اسطنبول ومنها إلى قرية نائية تسمى «بارلا» فوق سلسلة من جبال طوروس العالية. وقد اعتقد الحكام يومئذ أنهم بنفيهم الأستاذ قد قضوا عليه وعلى طاقاته في قيادة حركة مقاومة الالحاد والاستبداد ومحاربة الاسلام، لكنهم كانوا مخطئين، إذ غدت هذه المنطقة النائية مصدر اشعاع كبير للاسلام، ففيها كتب الأستاذ رسائله العظيمة في بيان حقائق الاسلام ومحاربة التيارات الملحدة والمشككة ودعوة المسلمين إلى المحافظة على عقيدتهم وإسلامهم.

ولقد تسربت الرسائل بطرق مدهشة، عبر قنوات كثيرة، واستنسخت منها مئات الألوف من النسخ اشترك في كتابتها

---

(٢٢) (سيرة ذاتية) ص: ١٢٧-١٢٨. ورسالة «الطبيعة» ترجمة: احسان قاسم الصالحي. ص: ٧

الرجال والنساء وانتشرت من أقصى تركيا إلى أقصاها، فنبهت الناس إلى حقيقة الايمان وقضية الاسلام وأنقذت الكثيرين من المخطط الفكري الرهيب لفصل المسلمين عن عقيدتهم وحضارتهم والذي شن على الاسلام وأهله بذكاء وتخطيط اشتركت فيه أجهزة الاعلام كلها.

وفي سنة ١٩٣٢م صدرت الأوامر بمنع الأذان باللغة العربية ولم ينفذ الأستاذ وجمع من تلامذته معه هذا القرار، فكانوا يؤذنون في داخل المسجد باللغة العربية فاكتشفت السلطات هذا، فنقلت النورسي على أثره إلى «اسبارطة» حيث ظل هنالك أشهرا يؤلف رسائل النور، وفي صباح أحد أيام عام ١٩٣٤م شنت حملة اعتقالات واسعة بين طلبته شملت النورسي نفسه، فقدم إلى محكمة عسكرية وحكم عليه بالسجن أحد عشر شهرا،[٢٣] بتهمة تأليف رسالة يدعو فيها النساء إلى الحشمة والتستر.

وقد ألقى الأستاذ دفاعا مشهورا أمام المحكمة نقتطف منه مايلي:

«لقد جيء بي إلى هنا بتهمة أنني شخص رجعي اتخذ الدين سبيلا إلى الاخلال بالأمن العام وإنني أقول لكم إن إمكانية عمل شيء لا يستدعي وقوعه ولا المعاتبة عليه. فعود الكبريت يمكنه إحراق بيت ولكن هذا الامكان لا يعني ارتكاب أي جريمة.

إن انشغالي بعلوم الاسلام لا يخدم إلا رضى الله تعالى

---

(٢٣) (سعيد النورسي وجوانب مجهولة من حياته) ص: ٢٩٧

وحاشا أن يخدم أي غرض غير ذلك.

لقد تساءلتم هل أنا ممن يشتغل بالطرق الصوفية؟ وإنني أقول لكم: إن عصرنا هذا هو عصر حفظ الايمان لا حفظ الطريقة... إن كثيرين يدخلون الجنة بغير الانتماء إلى طريقة صوفية، ولكن أحداً لايدخل الجنة بغير إيمان.

وتقولون: من أين تأتي بالمال لجمع الناس من حولك في جمعية، وإنني أسأل هؤلاء: ومن أين لهم الوثائق التي أثبتوا بها أنني اشتغلت بجمعية أو قمت بأي نشاط يحتاج إلى المال؟

وتعترضون قائلين: إنني لست موظفا في ما أعمل فيه. وللتدريس مديرية خاصة ينبغي أن أتلقى الاذن منها أولا!! ولكن أقول لكم: لو أن أبواب القبور كلها أغلقت وأعدم الموت من الوجود لجاز أن ينحصر الأذن في دائرتكم، أما وان ثلاثين ألف جنازة تنادي كل يوم نداء الموت وتوقع على حكمه فإن هذا يعني أن ثمة وظائف وواجبات أخرى أهم كثيرا مما انحصر في دائرتكم وأحكامكم.[٢٤]

وبعد أن قضى بديع الزمان هذه المدة في سجن «اسكى شهر» نفي إلى مدينة «قسطموني» سنة ١٩٣٦م حيث بقي فيها تحت الاقامة الاجبارية في بيت مقابل مركز للشرطة سبع سنوات مستمرا في كتابة رسائل النور التي انتشرت بسرعة فائقة في كل مدينة وقرية في أنحاء تركيا كلها. ولقد كان انتشار هذه الرسائل

---

(٢٤) (سيرة ذاتية) ص: ١٩٤ - ١٩٥. والترجمة للدكتور البوطي (من الفكر والقلب) ص: ٣٢٢ -٣٢٣

مصدر إزعاج كبير للدولة. ولذلك فإن «النورسي» قد قضى معظم حياته ينتقل من محكمة إلى محكمة ومن سجن إلى سجن، وكان يلقى في كل مرة أمام المحاكم دفاعا بليغا منطقيا مسندا بالأدلة الدامغة، عارضا مأساة الاسلام والمسلمين بكل قوة وشجاعة.

وفيما يلي مقاطع لدفاع مشهور له أمام محكمة «دنيزلي» التي اتهم أمامها بتأليف جمعية دينية سرية وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية وقلب نظام الحكم!.

«نعم نحن عبارة عن جمعية. وإنها لجمعية تحوي في كل عصر على (أربعمائة) مليون من الأعضاء المنتسبين إليها. وهم في كل يوم يعبرون خمس مرات دائما عن أتم علاقتهم بالدستور العظيم لهذه الجمعية. وهم يتسابقون دائما الى تحقيق أهم شعائرها ألا وهو ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ فنحن من أفراد هذه الجمعية المقدسة العظيمة. وظيفتنا تعريف هؤلاء الاخوة المؤمنين بحقائق القرآن تعريفا علميا راسخا وذلك تعاونا منا على اعتاق أنفسنا من سجن الأبدية الذي يتهددنا.

بأي وجه حق تستطيعون إيقاف حركة «رسالة النور» وإنما هي عبارة عن خدمة حقائق القرآن حقيقة مرتبطة بعرش الله العظيم ومن ذا الذي يستطيع أن يناطح حقيقة ترتبط بعرش الله تعالى؟

إنني لا أتوجه في بياني هذا إلى أعضاء هذه المحكمة فقط. بل إلى تلك الجماعة المتآمرة في اسبارطة أيضا.

إنني لأعجب كيف يتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن وبيانه ومعجزاته باتباعهم للسياسة والجمعيات السرية؟ على حين يحق لمارق مثل (الدكتور دوزى) أن يفتري على القرآن وحقائقه في وقاحة وإصرار، ثم يعتبر ذلك أمرا مقدساً لأنه حرية للرأي والفكر. هذه حرية للرأي والفكر!! أما نور القرآن الذي يأبى إلا أن يشع في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين بدستوره فهو خطورة تنهال عليها جميع ألفاظ الشر والخبث والسياسة . . .

أما عن الجمهورية العلمانية فنحن نعلم أنها تلك التي لا تتعرض للدين في خير أو شر. ولكن ها أنتم أولاء تفسحون الطريق أمام كل جريمة وفاحشة خلقيه وكذب على الله والكون باسم الحرية الوجدانية والفكرية. حتى إذا تنبهتم لآية من القرآن تفسر وتجلى حقائقها رفعتم أصواتكم بالنكير وقلتم: جمعية سرية «سياسة» وخطورة!!.

إن المسألة إذن من الخطورة والاجرام بحيث تحاولون أن تستر وها برداء العلمانية . . .

فإن كان الأمر كذلك فاعلموا أنه لو كانت لي ألف روح فأنا على استعداد أن أفدي كل ذلك في سبيل أهم حقائق الكون. ألا وهو دين الله تعالى. وسأحتمي منكم بحصن واحد فقط هو: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

إنكم تدورون ثم تقولون: إن أعمالي الدينية ما هي الا استغلال ووسيلة للاخلال بالأمن. ولكن أقول لكم بالمقابل ان

دعواكم هذه ليست إلا استغلالا ووسيلة لاعدام الدين باسم المحافظة على الأمن.

إنكم تعلمون أن رسالة النور تضيء منذ عشرين عاما، فهل سجلتم منذ ذلك اليوم إلى الآن حادثة واحدة أخلت بالأمن؟

إذن فاسمعوا يا من بعتم دينكم بدنياكم ونكستم بالكفر المطلق، إنني أقول بمنتهى ما أعطاني الله من قوة: افعلوا ما يمكنكم فعله فغاية ما نتمناه أن نجعل رؤوسنا فداء لأصغر حقيقة من حقائق الاسلام. [٢٥]

ويقول في مكان آخر من ذلك الدفاع التاريخي المجيد:

«أيا من بعتم دينكم بدنياكم. أيها الكافرون التعساء. انفقوا ما شئتم. ستكون الدنيا وبالا عليكم. لقد فُديت هذه الدعوة المقدسة بملايين الأبطال ونحن مستعدون بأن نفديها بأرواحنا. إننا نفضل البقاء في السجن ألف مرة على أن نرى الحرمات تنتهك. في ظل هذا الاستبداد لا يمكن أن يقال هنالك حرية، حرية العلم أو حرية الضمير أو حرية التعبير أو حرية الدين...

إنكم إذ تصدرون هذه الأحكام على رسائل النور وطلابها وتدعون الكفر والالحاد وتحاولون حجب الحقائق القرآنية عن عيون البشر، وتريدون بذلك سد الطريق الذي سار عليه ملايين بل مئات الملايين من المسلمين ووصلوا إلى السعادة الأبدية الحقيقة...

---

(٢٥) Şualar (الشعاعات) - النورسي - ص: ٣٠٩. والترجمة للدكتور البوطي (من الفكر والقلب) ص: ٣٢٥ - ٣٢٧.

إن الزنادقة والمنافقين غرروا بكم وصفعوا العدل والحق وانحرفوا بالدولة عن وظيفتها الأساسية إلى مشاغل لا فائدة منها، واتخذوا من الاستبداد جمهورية والردة نظاما ومن الجهل والسفه مدنية ومن الظلم قانونا وبذلك خانوا وطنهم وضربوه ضربة ما كان لأجنبي أن يضرب مثلها». [٢٦]

ولعله قد بلغ أقصى مدى في أحد دفاعاته في أخريات أيامه عندما قال:

«ألا فلتعلموا جيدا بأنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من شعر وفصل كل يوم واحد منها عن جسدي، فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة». [٢٧]

واستمر الأستاذ النورسي على هذه الحال من إقامة جبرية إلى سجن، إلى سنة ١٩٥٠م حيث جرت أول انتخابات حرة في البلاد أتت بالحزب الديمقراطي إلى الحكم الذي بدأ يخفف الحملة الوحشية التي شنت على الاسلام ربع قرن كامل حيث سمح لأول مرة لرسائل النور بالطبع والنشر وللنورسي بالحركة المقيدة المحددة بين المدن التركية.

---

(٢٦) (الشعاعات) ص: ١٨. والترجمة منقولة من كتاب (سيرة امام مجدد) ص ٥٦ - ٥٧، بدون ذكر المؤلف - بيروت ١٩٧٤

(٢٧) (الشعاعات) ص: ٢٩٤ - ٢٩٥. رسالة «رسائل النور لا تنطفىء» ترجمة: عاصم الحسيني ص: ٢٥ - ٢٦.

وظل الأستاذ نشيطا في توجيه وتربية تلامذة النور، يكتب لهم ويرشدهم ويشرف على طبع رسائله وكتبه حتى وفاته في الخامس والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٩م الموافق للثالث والعشرين من آذار سنة ١٩٦٠م.

تـراثـه :

اشتهر النورسي بتأليف رسائل في موضوعات العقيدة الاسلامية، كلياتها وجزئياتها، سماها برسائل النور. ومن المؤكد أن ثقافته الواسعة في العلوم الاسلامية وهضمه للمعارف الانسانية في عصره وذكائه الحاد وخياله الخصب وقدرته على التأمل العميق هو الذي حدد الطريق أمامه لاملاء تلك الرسائل التي استوحاها من القرآن الكريم مباشرة. ولم تكن عنده المصادر العلمية التي يعتمد عليها لأنه كان في سجن ونفي مستَمرين. ويتجاوز عدد تلك الرسائل مائة وثلاثين رسالة باللغة التركية وهي موزعة على الوجه الآتي:

- الكلمات (Sözler) وتضم ثلاثا وثلاثين رسالة (كلمة) في ستمائة وخمسين صفحة.
- المكتوبات (Mektubat) وتضم ثلاثا وثلاثين مكتوباً في أربعمائة وخمسين صفحة.
- اللمعات (Lemalar) وتضم ثلاثا وثلاثين لمعة في أربعمائة وثلاثين صفحة.

- الشعاعات (Şualar) وتضم خمسة عشر شعاعا في ستمائة وأربعين صفحة.

-ملاحق، مثل ملاحق بارلا وملاحق قسطموني في مائتين وأربع صفحات وملاحق أمير داغ في جزئين الأول منهما مائتان وأربع وثمانون صفحة والثاني مائتان وعشرون صفحة.

- وهنالك رسائل أخرى في مسائل إسلامية دقيقة أو في الدعوة لتثبيت تلامذته، كانت سرية تتداول بينهم ثم كشف وطبع بعضها في مجلد مستقل في مائتين وعشرين صفحة بعنوان «ختم التصديق الغيبي».

- وهنالك رسائل أخرى مستقلة في كتب صغيرة منها: المدخل إلى عالم النور ومفتاح النور والمحاكمات وسيرة ذاتية.

- رسائل كتبها باللغة العربية وهي: اشارات الاعجاز في مظان الايجاز، واحدى عشرة رسالة ضمّها في المثنوى العربي النوري، والصيقل الاسلامي، والخطبة الشامية، وقزل ايجاز في المنطق.

والجدير بالذكر أن تأليف رسائل النور جميعها استغرق من سنة ألف وتسعمائة وست وعشرين إلى ألف وتسعمائة وخمسين ميلادية.

وقد يسأل سائل فيقول: ماالسبب الذي دفع النورسي لتأليف هذه الرسائل؟ وفي سبيل بيان ذلك ننقل ما ذكره الأستاذ احسان قاسم الصالحي في كتابه القيم (بديع الزمان سعيد النورسي):

«في تلك السنوات الحالكة كان الاسلام يتعرض لزلزال كبير

في تركيا، فالحرب ضد الاسلام تقودها الحكومة بكل أجهزة الدعاية والاعلام التي تملكها وبأقلام جميع المنافقين والمتزلفين وأعداء الاسلام من الكتاب والصحافيين في الوقت الذي كممت فيه أفواه دعاة الاسلام وحيل بينهم وبين الدفاع عن عقيدتهم. لذلك فقد تعرضت أسس الاسلام وأصوله ومبادئه الأولية إلى الشك والانكار في نفوس كثير من الشباب الذي لم يكن يجد أمامه مرشدا وموجها. لذلك فقد قرر الأستاذ سعيد النورسي أن يحمل تلك الأمانة الكبرى على كاهله وأن يحاول إنقاذ الايمان في تركيا... نعم إنقاذ الايمان، تلك كانت هي المسألة الرئيسية التي لا تحتمل التأجيل أو التسويف أو الاهتمام بأي أمر عداها».

ولقد شعر النورسي أنه في عصر جديد، جديد في أفكاره، جديد في أساليب التعبير عنها، بكثرة أنماط التحديات والهجمات الفكرية المركزة على أصول العقائد الاسلامية، بقصد تشكيك المسلمين في قرآنهم وسنة نبيهم وحضارتهم وتاريخهم.

وأدرك كذلك أن مواجهة هذه الموجات العنيفة الحديثة لا يمكن أن يفيد معها أسلوب علم الكلام القديم، وإنما يحتاج إلى أسلوب جديد منطقي في أساسه، علمي في أدلته، واقعي في معالجته، منسجم مع روح العصر، معبر عنه بأسلوب واضح قريب إلى العقول جميعا.

وقد أجاب هو على سؤال وجه إليه بهذا الخصوص فقال:

«إن قسماً من مصنفات أغلب العلماء السابقين والكتب

القديمة للأولياء الصالحين يبحث عن ثمار الايمان ونتائجه وفيوضات معرفة الله سبحانه وتعالى. ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحدٍ واضح ولا هجوم سافر لجذور الايمان وأسسه. إذ كانت تلك الأسس متينة ورصينة. أما الآن فإن هناك هجوما جماعيا منظما عنيفا على أركان الايمان وجذوره لا تستطيع تلك الكتب التي كانت تخاطب المؤمنين فحسب، أن تقف أمام هذا التيار القوي ولا أن تقاومه وتصده.

أما رسائل النور، فلأنها معجزة معنوية من معجزات القرآن الكريم، فإنها تقوم بإنقاذ أسس الايمان وإثباته بإقامة البراهين الساطعة والدلائل العدة لأثباته». (٢٨)

ولقد صدق من وصف رسائل النور بأنها:

«تنّور هذا العصر والذي يليه، وتخاطب الانسانية قاطبة بحقائق القرآن الكريم. فتستجيب لكافة حاجات الايمان والاسلام والفكر والروح والقلب والعقل بما يشبع كلًّا منها». (٢٩)

ويمكن أن يلخص هدف النورسي وطبيعة رسائله بأنه:

«كتاب شريعة وعقائد، وكتاب دعاء وحكمة، وكتاب عبودية ودعوة، وكتاب ذكر وفكر، وكتاب حقيقة وتصوف، وكتاب منطق وعلم كلام، وكتاب حث على العمل وإلجام للمعارضين

---

(٢٨) Kastamonu Lahikasi (ملحق قسطموني) - النورسي - ص: ١٠

(٢٩) (سيرة ذاتية) ص: ١٤

وإسكات لهم». [30]

والمدقق في هذه الرسائل يستطيع بكل وضوح أن يعدها تفسيرا للقرآن الكريم. ولكن ليس من نوع تفسير الألفاظ والتراكيب وإنما من نوع إثبات حقائق ومعاني الآية الكريمة بتوضيح وبيان تلك الحقائق. [31]

وأما أسلوب هذه الرسائل فنراه لينا رقيقا جدا وكأنه همسات قلب، ونراه أحيانا أخرى أسلوبا علميا دقيقا ذا عبارات منطقية فطرية تستدعي تركيزاً فكريا، وينقلب الأسلوب في حالة الدفاع أمام المحاكم إلى أسلوب قوي هادر كالأمواج المتلاطمة.

وليست هذه الأجواء مفصولة بعضها عن البعض وإنما قد تجدها في الرسالة الواحدة، ذلك لأنها خطاب للعقل بإقامة موازين منطقية وفطرية دقيقة وإثارة لكوامن الايمان الفطري في الأرواح بفتح منافذ منها إلى التأمل في العالم ورؤية تجليات الأسماء الحسنى على الموجودات زيادة على أخذه بيد قلب الانسان في سيره الروحي وسموه إلى مراتب رفيعة لتتوضح الرؤية أمامه ويقف أمام تحديات الطغيان والضلالة. وفي خلال كل هذا إطلاق للخيال ليسرح في مجاله وليؤدي دوره في إشباع فطرة الانسان.

---

(30) Emirdağ Lahikasi (ملحق اميرداغ) - النورسي - ص: 97

(31) (سيرة ذاتية) ص: 143. وانظر: خصائص رسائل النور تفسيراً للقرآن الكريم. في كتاب (الايمان وتكامل الانسان) ترجمة احسان قاسم الصالحي.

ترجمَة رسَائل النور الى العَربيّة

- ترجم عبدالمجيد النورسي قسماً من رسائل النور.

- ترجم الأستاذ خليل عبدالكريم المارديني رسائل «المعجزات القرآنية» و«الحشر» و «المعجزات الأحمدية» و «الحزب الأكبر النوري» في مجموعة واحدة، سماها «ذو الفقار» في حوالي أربعمائة وعشر صفحات.

- ترجم الاستاذ عاصم الحسيني: «الخطبة الشامية» و «رسائل النور لا تنطفيء» وهوامش التفكير الايماني الرفيع.

- ترجم الأستاذ احسان قاسم الصالحي من رسائل النور المجموعات الآتية:

١- قطوف من ازاهير النور: مجموعة المقالات التي نشرتها مجلة التربية الاسلامية الصادرة ببغداد

٢- رسالة الحشر: في اثبات حقيقة الحشر بتجليات الاسماء الحسنى.

٣- الآية الكبرى: مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه.

٤- زهرة النور: وتتضمن رسائل: سلوة المرضى وعزاء المبتلين، والمناجاة.

٥- الملائكة وبقاء الروح والحياة الآخرة: في اثبات وجود الروح وحقيقة الملائكة وضرورة الآخرة ببراهين منطقية ودلائل ساطعة.

٦- الشيوخ: وهي مذكرات الاستاذ النورسي وما عاناه في الأسر والسجن سجّلها ضمن بوارق رجاء ونوافذ أمل تتفتح من نور الايمان وفيض القرآن.

٧- الشكر: وهي ثلاث رسائل: رسالة رمضان، والاقتصاد، والشكر.

٨- حقائق الايمان: عبارة عن مجموعة من الرسائل: حقائق عن الصلاة، ورسالة حكمة الاستعاذة من الشيطان، ومذكرات في المعرفة الالهية.

٩- الايمان وتكامل الانسان: في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم﴾ مع رسالة ملحقة في بيان خصائص رسائل النور تفسيراً للقرآن الكريم.

١٠- الاخلاص والاخوة: في بيان دساتير الاخلاص وموانع الوصول اليه ودساتير الاخوة واهميتها.

١١- حقيقة التوحيد: وتتضمن: التوحيد الحقيقي، واشارات الى التوحيد، وبشارات التوحيد، ونقطة من نور معرفة الله جل جلاله.

١٢- الثمرة: وهي مسائل ايمانية اثمرها سجن «دنيزلي».

١٣- كلمات صغيرة في العبادة والعقيدة: تبين حقائق الايمان واسرار العبادة ضمن حكايات تمثيلية في مجموعة من الرسائل.

١٤- المعجزات الاحمدية: تتضمن اكثر من ثلاثمئة معجزة من معجزات الرسول ﷺ مدعمة باسانيدها.

١٥- الاسم الاعظم: قبسات من اسماء الله الحسنىٰ: القدوس، العدل، الفرد، الحي، القيوم.

وهو عازم على ترجمة ما يستطيع أن يترجمه بالتتابع في المستقبل إن شاء الله كي لا يحرم قراء اللغة العربية من هذه الرسالة الاسلامية العظيمة.[٣٢]

---

(٣٢) راجع القائمة في نهاية الكتاب لترجماته التي وفّق اليها.

اسس فكره وحركته :

لاحظ النورسي وهو الذي عاصر أخطر فترة انتقالية في حياة المسلمين، وهي نهاية القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر منه، أن المجتمع الاسلامي ينحدر في مظاهر حياته كلها انحدارا سريعا، واكتشف أن غزوا فكريا منظماً يشن على العقيدة الاسلامية ابتداء من الدوائر الأجنبية إلى صحافة الاتحاد والترقي إلى أجهزة إعلام الانقلابات الكمالية اللادينية.

لقد تأكد النورسي أن الاسلام أصبح في خطر أكيد، وأنه لابد من تقوية الايمان عند البعض، وإنقاذه عند البعض الآخر، أمام هذه الموجات العاتية من تزييف المنطق العقلي والحقيقة العلمية.

ولقد ساعدت دراساته العقلية الرصينة واطلاعه الواسع على تطور العلم الحديث في محاولة ذلك الانقاذ، فبدأ بتأليف الرسائل والكتب في دحض شبهات القوم وإثبات حقائق الايمان بأسلوب علمي عصري قريب إلى روح العصر وفهم الناس جميعا.

وكان يتتبع الشبهات التي كان يثيرها الملاحدة وأعداء الأمة، لادخال الشك في عقول الجيل الحديث، فيرد عليها ويخصص لها الرسائل المتنوعة دون ذكر الشبهة إلا نادرا. (٣٣)

ومن هنا فإننا نرى أن كتابات النورسي، تمثل الصراع الفكري في عصره تمثيلا تاما وتضع الأسس الفكرية لتنشئة جيل مؤمن يعرف كيف يتعامل مع العصر.

ولقد أكد النورسي في كتاباته على القضايا العقيدية، لاسيما وجود الله ووحدانيته واليوم الآخر وما يتعلق به من الأمور الغيبية.

وجود الله ووحدانيته:

يعتقد النورسي أن الالحاد ليس مبنيا على علم يقيني ولا حتى على علم تخميني، لأنه يعتمد «النفي» الذي يستند إلى مجموعة من النظريات المتفرقة الخاصة، بينما الايمان يعتمد على «الاثبات» الذي كلما تعدد مثبتوه فإن النتيجة تكون أقوى لأنهم يتساندون جميعا؛ ثم إن النفي لا يمكن إثباته لأنه يلزم أن تكون الرؤية محيطة وشاملة لما في الكائنات ولأرجاء الدنيا والآخرة كافة وشهود الزمان الذي لا يحد بآفاقه وأطرافه جميعا حتى يثبت مثل هذا النفي.

إذن فماهية الكفر هي: إنكار وجهل ونفي. ومعناه عدم ونفي. أما الايمان فهو: علم ووجود وإثبات وإقرار وحكم.

---

(٣٣) Sözler (الكلمات) - النورسي - ص: ٣٣٨. مقدمة رسالة المعجزات القرآنية.

ويضرب النورسي مثالا على ذلك فيقول:

«إذا أثبت شاهدان من عامة الناس رؤية الهلال في أول رمضان، ونفى الرؤية آلاف من الوجهاء والعلماء قائلين «إننا لم نر الهلال» فإن نفيهم هذا يبقى غير ذي قيمة ولا أهمية، ذلك لأن بالاثبات يؤازر الواحد الآخر ويشد عضده ويقويه. ففيه تساند واجتماع. بينما النفي لا فرق فيه بين أن يكون صادرا من شخص واحد أو من ألف شخص، إذ النافي منفرد باعتبار أنه وحده الذي ينفي، ذلك لأن المثبت ينظر إلى الأمر نفسه ثم يصدر حكمه، كما هو الحال في مثالنا، إنه إذا قال أحدهم: هو ذا الهلال في السماء، فإن الآخر يصدقه ويؤيده مشيرا إلى المكان نفسه، فيشتركان في النظر إلى المكان نفسه، فيتساندان ويقوى حكمهما ويرسخ. أما في النفي والانكار فالنافي لا ينظر إلى الأمر نفسه ولا يسعه ذلك، لذا أصبحت القاعدة «لا يمكن إثبات النفي غير الخاص وغير المحدود مكانه» قاعدة مشهورة. (٣٤)

ويسلك النورسي مسلكا علميا استقرائيا في إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، فهو يقوم بسياحة كونية محاولاً الغوص في أسرار الوجود ونظامه الدقيق وما فيه من مخلوقات للوصول إلى الخالق العظيم الذي أتقن كل شيء صنعه.

ومن جهة أخرى فإنه يستند إلى مصادر المعرفة المتنوعة في سبيل الكشف عن هذه الحقيقة. فالاعتماد على مصدر العقل

---

(٣٤) الآية الكبرى - النورسي - ترجمة: احسان قاسم الصالحي. ص: ٢٤

عند العقلاء واستعداد القلب للكشف عند أهل التربية الروحية برهان قاطع أجمعَ عليه أهل العقول والقلوب.

ويلجأ إلى شهادات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام الذين هم صفوة الانسانية وقمة كمالاتها، فإجماعهم على الاخبار بوجود الخالق أعظم دليل في الاثبات.

ويتساءل النورسي: أليس ذلك كله استقراء منطقياً شاملا يدل على عين اليقين بل حق اليقين بوجود الواحد الأحد؟ وأليس ذلك إثباتا فوق إثبات وبرهانا فوق البراهين؟ وإلا فإلى من نلجأ في تاريخ البشرية لنستفتيهم؟ إلا إذا خدعنا عقولنا وأفسدنا فطرتنا، فلجأنا إلى أفراد من الناس الذين أعلنوا إلحادهم من خلال عقولهم المضطربة وقلوبهم المطموسة ونفوسهم المظلمة، التي لم تتفتح قط لأنوار الحق وأزاهير الايمان وقيم الفضيلة ونسمات الرحمة.

وقد عدّ النورسي الرسول الأعظم ﷺ وحده، أجلى دليل وأوضح برهان على وجود الخالق العظيم. فدراسة بيئته وبعثته وحياته وأخلاقه وما جاء به وجاهد في سبيله وما انتهى إليه أمره ودراسة حياة أصحابه وأمته دراسة عقلية واعية تقود إلى الاقتناع الكامل بأن انفجار هذا النور الهائل في ظلمات الصحراء من أعظم الأدلة على الحقيقة الالهية.[٣٥]

ثم يتدرج النورسي في سَوق الأدلة من المحسوس إلى

---

(٣٥) انظر مقدمتنا لطبعة الآية الكبرى باللغة العربية. ص: - ١٠

المجرد المعقول، فيستعمل دليل الحدوث والامكان والغائية عند المتكلمين القدماء،بذكاء حاد وبأسلوب مناسب لعقلية العصر بحيث يبعدها عن مصطلحاتها الجافة وينزل بها إلى مستوى الدليل المحسوس ليأخذ بعضها برقاب البعض الآخر لايصال الناس إلى معرفة الخالق الواهب الرازق.

استمع إليه وهو يقول:

«نعم إن حقيقة الحدوث استولت على الكائنات استيلاء تاما إذ ترى العين المجردة حدوث أكثرها ويرى العقل حدوث القسم الآخر.

نعم، نحن نرى بأم أعيننا أنه كلما حل الخريف والشتاء يموت ويهمد في ذلك الموسم عالمُ النباتات والحيوانات الصغيرة الذي يشتمل كل منها على مئات الألوف من الأنواع. ولكن ذلك الموت والهمود يجري على غاية من الانتظام بحيث يكون مداراً للحشر والنشور في الربيع القادم. وأن ذلك العالم الميت سيخلف «النوى» و «البذور» و «البويضات» التي هي من معجزات الحكمة والرحمة ومن خوارق العلم والقدرة، ويورث فيها صحائف أعمالها وبرامج وظائفها ويودعها أمانة في حماية الحفيظ ذي الجلال وتحت رعاية حكمته ومن ثم يرحل عن الوجود ويموت. حتى إذا جاء الربيع، المثال العظيم لمعنى الحشر الأكبر. تحيا الأشجار والأصول وقسم من الحيوانات الصغار بأعيانها وقسم آخر بأمثالها. فتنشر تلك الموجودات

المودعات في الربيع ما ورثته من المتوفيات في الربيع الماضي من صحائف الوظائف ودفاتر الأعمال نشرا يكون مثالا مجسما جليا لآية ﴿وإذا الصحف نشرت﴾.

وكذلك لو نظرنا إلى الكائنات كلها من حيث المجموع فإننا نرى في موسمي الربيع والخريف يموت عالم كبير من العوالم ويتجدد من جديد. فهذه الوفاة وذلك الحدث يجريان بكل دقة وانتظام وأن وفيات الأنواع الكثيرة وحدوثها تكون وفق ميزان محكم وانتظام متقن، وكأن الدنيا محط ومنزل يستضاف فيها ذوو الحياة وتأتيه عوالم سيّاحة ودنىً سيارة فيؤدون وظائفهم فيها ثم يرحلون ويذهبون.

وهكذا فإن إحداث وإيجاد عوالم حياتية وكائنات مسخرة موظفة في هذه الدنيا، ومن ثم ادارتها بكل علم وبصيرة وحكمة وميزان وموازنة وانتظام ونظام واستخدامها في المقاصد الربانية ولغايات إلهية وخدمات رحمانية واستعمالها بكل قدرة واستخدامها بكل رحمة تدل بالبداهة أن لابد من وجود الخالق ذي الجلال ويظهر للعقول كالشمس إنه سبحانه ذو قدرة وحكمة لا نهاية لها.

أما « الامكـــان » فهو أيضا قد أحاط بالكائنات واستولى عليها. إذ أننا نرى كل شيء سواء أكان جزئيا أم كليا، صغيرا أو كبيرا من الفرش إلى العرش ومن الذرات إلى السيارات إذا دخل في دائرة الوجود، فإنه يدخل بذاتية خاصة وصور معينة وشخصية مميزة وصفات مخصوصة وبكيفيات حكيمة وأجهزة ذات

مصلحة وفوائد.

هذا وإن إعطاء تلك الماهية وتلك الذاتية الخاصة لذلك الشيء من بين الاحتمالات الكثيرة والامكانات المتعددة.

وكذلك إكساء تلك الصور المعينة وذلك النقش البديع ذي العلامات الفارقة والمنسجمة من بين الامكانات العديدة والاحتمالات الهائلة والتي هي بعدد الصور والأشكال.

وكذلك تخصيص ذلك الموجود بتلك الشخصية المميزة واللائقة له من بين الامكانات والاحتمالات التي هي بعدد بني جنسه.

وكذلك فإن ترتيب وتنسيق تلك الصفات الخاصة ذات المصلحة والفوائد العديدة والموافق لذلك المخلوق المصنوع ضمن الامكانات الكثيرة والاحتمالات التي هي بعدد أنواع الصفات ومراتبها المجردة.

فلابد أن تلك الدلالات والشهادات التي هي بعدد الممكنات الكلية والجزئية وما لكل ممكن من ماهية وهوية معا، له من هيئات وصور وأوضاع وصفات بعدد إمكاناتها واحتمالاتها، كل ذلك شهود إثبات ودلائل يقين على وجود الخالق سبحانه وتعالى الذي خصّص ورجّح وأحدَث وعيَّن.

وإن تجهيز تلك الكيفيات الحكيمة وتعليق الأجهزة الضرورية المفيدة لذلك المخلوق السائب المتحير بلا هدف من بين تلك الطرق العديدة والطرز المختلفة المتنوعة لتلك الاحتمالات والامكانات، كل ذلك يشير إلى:

قدرته المطلقة التي لا حد لها.
وحكمته المطلقة التي لا نهاية لها.
وأنه لا يخفى عليه أي شيء ولا أي شأن. فلا يصعب عليه أمر، فكل شيء عنده هيّن ويسير وأكبر شيء عنده كأصغره سيان.[٣٦]

ولا يبقى النورسي في دائرة الحديث العلمي والعقلي عن وجود الله، بل بعد بناء الأساس المنطقي للايمان، يحاول أن يبين أثره العظيم في التوجيه والتربية وضبط الحياة الاجتماعية، ففي مقالات كثيرة يحاول أن يثبت بأمثلة عملية كثيرة أن الكفر يقطع الانسان عن الكون وخالقه، وأن الايمان يوصل أسباب الانسان بأسباب الكون، فيعيش كل جزءَ في وحدة خلق، خالقها هو الله الرحمن الرحيم.[٣٧]

وأما عن توحيد الله سبحانة وتعالى، فيعتقد النورسي أن الايمان العقلي المجرد بوجود الله تعالى لا يعطي الثمرة المرجوة إلا إذا كان صاحبه موحدا لا يشرك به ويتوجه بكله إليه يعبده ولا يعبد سواه، فعند ذلك تتحول عقيدة الوحدانية إلى سلوك واقعي تنفعل بها نفس الانسان المؤمن فيوجهها إلى اتخاذ الأنماط السلوكية المستقيمة المنسجمة مع الفطرة الانسانية.

ولقد استطاع النورسي في حياته أن يحول عقيدة الوحدانية

---

(٣٦) الآية الكبرى - ص: ٩٣ - ٩٦ وانظر رسالة «النوافذ» ص: ١٢٧ - ١٥٠
(٣٧) مجلة التربية الاسلامية / العدد: ٥ لسنة: ٢٢ و«الكلمات الصغيرة» و (الايمان وتكامل الانسان) للنورسي. ترجمة: احسان قاسم الصالحي.

من الأبحاث النظرية المجردة إلى حياة روحية واقعية حية، تمثلت في سلوك جيل كبير من المسلمين في بلاده بحيث أدى إلى إنقاذ الشخصية الاسلامية من الذوبان أمام الحياة المادية الحديثة التي سيطرت عليها الفلسفات المادية المتعددة والأنظمة الاجتماعية التي تفرعت عنها، والتي تحكمت فيها الغرائز، متجاهلة أصالة الفطرة والنظام الأخلاقي الذي تماسكت به المجتمعات البشرية التي اهتدت بهداية المبادىء التي جاء بها الأنبياء والمرسلون وحياً من خالق الكون ومبدع الوجود.

وسلك النورسي في إثبات عقيدة التوحيد مسلكه في إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، فهو ينطلق دائما من قواعد العلم والعقل في رسائله وأبحاثه كلها.

ففي مقالته «نور التوحيد» سلك مسلكا علميا في إثبات حقيقة التوحيد، إذ عن طريق استقراء أنظمة الكون وقوانين الحياة، تظهر لنا وحدة الخلق وانسجامه وترابطه، فلا يمكن أن تكون هذه الوحدة إلا مظهرا حقيقيا لوحدانية الخالق سبحانه وتعالى.

يقول الأستاذ النورسي:

«ان موجودات الكون كلها بأنواعها المختلفة تتعاون فيما بينها كتروس ودواليب معمل رائع يعمل بنظام دقيق جدا، فتترابط أجزاؤها بعضها مع بعض ترابطا وثيقا ويسعى كل جزء لتكملة مهمة الآخر.

فمثل هذا التعاون وهذا التساند وهذه الاستجابة وهذا

السعي في المعاونة وإسعاف الآخرين وهذا الترابط والاندماج يشكل وحدة متحدة الأجزاء في الوجود كله تماما كما في أعضاء جسم الانسان التي لايمكن فك بعضها عن بعض لشدة الترابط والاندماج فيما بينها. أي أن الذي يمسك زمام عنصر واحد في الوجود يلزم أن يكون زمام جميع العناصر بيده. وإلا فلا يمكنه السيطرة على ذلك العنصر الواحد.

وهكذا فإن ظاهرة التعاون والتجاوب والتساند الجارية على وجه الكون بين جميع أجزائه هي أسطع شعار وختم للتوحيد.[٣٨]

الحشر:

قضية الحشر الأعظم للبشر جميعا يوم القيامة بين يدي رب العالمين هي الركن الثاني في العقيدة الاسلامية بعد وجود الله ووحدانيته سبحانه وتعالى. ومن أجل بيان هذين الركنين للانسان أرسل الله الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين. ومن هنا فإن النورسي خص لهذا الموضوع كتبا كثيرة فضلا عن أن أغلب الرسائل التي كتبها تذكره بصورة من الصور.

ونستطيع أن نرجع أسباب اهتمام النورسي بهذا الموضوع الخطير إلى مايلي:

الأول: لم يهتم القرآن الكريم بظاهرة كونية بعد وجود الله

---

(٣٨) حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي - النورسي - ترجمة: احسان قاسم الصالحي. ص٧٤ - ٧٥

تعالى ووحدانيته كما اهتم بظاهرة الحشر، سواء أكان ذلك في تخصيص سور كثيرة خاصة به أم في مئات الآيات المتفرقة التي تأتي بمناسباتها والتي تربط الدنيا والآخرة في وحدة كونية شاملة.

وبما أن «النورسي» كان يحس أن رسائله النورية قد انبثقت من أعماق القرآن الكريم، وهي مظهر من مظاهر إعجازه، ولذلك فإنه اهتم بموضوع الحشر اهتماما عظيماً وصبّ فيه عبقريته وإحساسه العميق بكل مظاهره في الوجود الحاضر والآتي.

الثاني: شعر النورسي أن المسلمين في هذا العصر قد نسوا الآخرة وابتعدوا عنها، ولم ينفعلوا بأحداثها، ولم يتهيأوا لها واكتفوا في ذلك بإيمان سطحي بارد، لا يؤثر في السلوك ولا يضع الانسان أمام مصيره المحتوم، بعكس السلف الصالح الذين دفعتهم شدة إيمانهم بالحشر الاعظم إلى العمل المجدي في هذه الحياة الدنيا، لأنهم كانوا يعتقدون أنها مزرعة الاخرة. فبقدر قوة إيمانهم بالآخرة اشتدت سواعدهم للحركة والبناء والتغيير في هذه الحياة الدنيا.

الثالث: اعتقد النورسي أنه لن يستطيع أن يغير من حركة الانسان المسلم أو يصوغه صياغة ربانية جديدة، مالم يرجع إليه حرارة إيمانه بالآخرة ومالم يجعله يعش كل لحظة من لحظات حياته في انتظار ذلك اليوم الذي فيه تبيض وجوه وتسود وجوه.

أي أن النورسي أراد أن يتخذ من الايمان بالحشر أعظم مدرسة تربوية، يستطيع أن يربي فيها تلامذته على معاني الخير والفضيلة والعمل الصالح.

لقد بحث النورسي الحشر بحثا مستفيضا عميقا معالجا كل الشبهات التي يمكن أن ترد في هذا المجال، واتخذ من قانون الاحياء والاماتة في مظاهر الحياة دليلا حسيا قاطعا على يوم القيامة بأسلوب علمي متفاعل مع أسلوبه الشعري الرائع في تصوير مهرجان البعث والنشور في كل ربيع. ولا يكتفي بالأدلة المحسوسة وإنما يترقى في المعرفة فيعرض قضايا الحشر كلها على القوانين العقلية وينتهي إلى أن هذه الدنيا لها القابلية الأكيدة على الحشر والقيامة من حيث أن موت وفناء العالم ممكن وليس محالا. وأن هذا الفناء والموت واقع فعلا وأنه من الممكن بعث الدنيا المندثرة بصورة آخرة وأن وقوع هذا البعث حتمي، وعدم حدوثه إلغاء للكمال والغائية وطريق واضح إلى العبثية والعدمية وإنكار قطعي لتجليات أسماء الله الحسنى في الوجود. [٣٩]

ففي تجلي اسم الرب يقول:

«أمن الممكن لمن له شأن الربوبية وسلطنة الألوهية فأوجد كونا - ولاسيما كهذا الكون - لغايات سامية ولمقاصد جليلة إظهاراً لكماله أن لا يكون لديه ثواب للمؤمنين الذين قابلوا تلك الغايات والمقاصد بالايمان والعبودية وأن لا يعاقب ولا يجازي أهل الضلالة الذين قابلوا تلك المقاصد بالرفض

(٣٩) الملائكة وبقاء الروح والحياة الآخرة - النورسي - ترجمة: احسان قاسم الصالحي.

والاستخفاف؟!». [٤٠]

وفي تجلي اسم الكريم والرحيم يقول:

«أمن الممكن لرب هذا العالم ومالكه الذي أظهر بآثاره كرما بلا نهاية ورحمة بلا نهاية وعزة بلا نهاية وغيرة بلا نهاية أن لا يقدر مثوبة تليق بكرمه ورحمته للمحسنين ولا يقرر عقوبة تناسب عزته وغيرته للمسيئين؟». [٤١]

وفي تجلي اسم الحكيم والعادل يقول:

«أمن الممكن لخالق ذى جلال أظهر سلطان ربوبيته بتدبير قانون الوجود ابتداء من الذرات وانتهاء بالمجرات بغاية الحكمة والنظام وبمنتهى العدالة والميزان أن لا يعامل بالاحسان ممن اهتموا بتلك الربوبية وانقادوا لتلك الحكمة». [٤٢]

وفي تجلي اسم الجواد والجميل يقول:

«أمن الممكن أن لا يكون للجود والسخاء المطلقين والثروة التي لا تنضب والخزائن التي لا تنفد والجمال السرمدي الذي لا مثيل له، والكمال الأبدي الذي لا نقص فيه دار للسعادة ومحل للضيافة يخلد فيه المحتاجون للوجود الشاكرون له والمشتاقون إلى الجمال المعجبون به؟». [٤٣]

---

(٤٠) الحشر - النورسي - ترجمة: احسان قاسم الصالحي - الطبعة الثانية ص ٣٩.

(٤١) الحشر. ص: ٤٠

(٤٢) الحشر. ص: ٤٤

(٤٣) الحشر. ص: ٤٧

وهكذا يستمر النورسي في إثارة هذه الأسئلة بالنسبة للأسماء «المجيب والجليل والباقي والحفيظ والرقيب والجليل والحي والقيوم والمحيي المميت والحق» وتجلى «البسملة» ويدير حولها رسالة كاملة من خلال أجوبة عقلية وأبحاث عميقة في غاية القوة والمتانة وينتهي إلى القول:

«لقد فهم من الحقائق أن مسألة الحشر حقيقة راسخة قوية بحيث لا يمكن أن تزحزحها أية قوة مطلقا حتى لو استطاعت أن تزيح الكرة الأرضية وتحطمها، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقر تلك الحقيقة بمقتضى أسمائه الحسنى جميعها وصفاته الجليلة كلها، وأن رسوله الكريم ﷺ يصدقها بمعجزاته وبراهينه كلها، والقرآن الكريم يثبتها بجميع آياته وحقائقه. والكون يشهد له بجميع آياته التكوينية وشؤونه الحكيمة». (٤٤)

لماذ الحياة الآخرة؟ يجيب النورسي على ذلك:

«وبمجيء الآخرة ووجودها تتحقق كمالاته وتصان من السقوط، وتسود عدالته وتنجو من الظلم، وتنزّه حكمته العامة وتبرأ من العبث والسفاهة، وتأخذ رحمته الواسعة مداها وتنقذ من التعذيب المشين، وتبدو عزته وقدرته المطلقتان وتنقذان من العجز الذليل، وتتقدس كل صفة من صفاته وتتجلى منزّهة جليلة فلابد ولا ريب مطلقا من أن القيامة ستقوم وأن الحشر والنشور سيحدث وأن أبواب دار الثواب والعقاب ستفتح». (٤٥)

---

(٤٤) الحشر. ص: ٨٦ - ٨٧

(٤٥) الحشر: ص: ١١٣ - ١١٤

ويتحدث النورسي عن الفارق العظيم بين نظرة الايمان إلى الموت ونظرة الكفر إليه، ويبين أن نظرة الايمان قائمة على أساس أن الموت مقدمة لحياة أرقى وأنه تحول كبير ونعمة عظيمة والدلائل الكونية كلها شاهدة على ذلك أما الكافر فهذه الدنيا في نظره بمثابة مأتم عام وجميع الأحياء أيتام يبكون من ضربات الزوال وصفعات الفراق. أما الانسان والحيوان فمخلوقات سائبة بلا راع ولا مالك تتمزق بمخالب الأجل وتعتصر بعصارته. وأما الموجودات الضخام كالجبال والبحار فهي في حكم الجنائز الهامدة والنعوش الرهيبة وهكذا تذيق أمثال هذه الأوهام المدهشة المؤلمة التي تستحق الانسان وتنشأ عن كفره وضلالته صاحبها عذابا معنويا مريرا. (٤٦)

علم كلام جديد:

رأى النورسي بأم عينيه أن حربا منظمة ماكرة تشن على الاسلام من لدن الدوائر المادية والعلمانية وأجهزة الثقافة الاستعمارية، تريد النيل من عقيدته وتقتلع جذورها من نفوس المسلمين وعقولهم فاقتنع أن علم الكلام القديم المبني على مقدمات عقلية معقدة تسير في طريق طويل غير مأمون العاقبة في هذا العصر خاصة.

يقول رحمه الله تعالى:

---

(٤٦) الكلمات الصغيرة - النورسي - ترجمة: احسان قاسم الصالحي - الكلمة الثانية.

«إن الضلال المترتب على الالحاد والعلوم الطبيعية والتمرد المتولد من الكفر العنادي في الماضي ليعتبران اليوم من الضآلة بحيث لا تذكر إذا ما قيست بما عليه الوضع في وقتنا الراهن.

لذلك فقد كانت دراسات محققي الاسلام وأدلتهم كافية لسد احتياجات ذلك العصر، لقد كان كفر عصرهم شكِّيا فكانوا يزيلونه بسرعة، ثم إنه كان الايمان بالله شائعا بين طوائف الناس كان من اليسير هداية الكثيرين إلى الصراط السوي وإنقاذهم من السفاهة والضلالة بتعريف الله سبحانه بهم والتخويف من عذابه. أما اليوم فقد تغير الحال، إذ بينما كان يوجد في الماضي ملحد واحد في بلد من البلاد يمكن العثور الآن على مائة كافر في القرية الواحدة. وقد زاد عدد الذين يسلب إيمانهم بسبب ضلالات العلوم والفنون ويقفون بعناد وتمرد في وجه حقائق الايمان والمعتقدات الراسخة أضعاف الماضي مائة مرة.

ولما كان هؤلاء المعاندون المتمردون يعارضون الحقائق الايمانية بغرور فرعوني وتضليلات مدهشة فلا مناص من أن يقابلوا بحقائق قدسية في قوة القنبلة الذرية لتتفجر على رؤوسهم وتحطم مبادئهم وأسسهم فتوقف زحفهم وتحمل قسما منهم على التسليم والاذعان» [٤٧].

ومن هنا فإنه حاول أن يخطط لعلم كلام جديد، مبني على القرآن الكريم، يستقى منه مباشرة دون الخوض في مصطلحات

---

(٤٧) الخطبة الشامية - النورسي - ترجمة: عاصم الحسيني - ص: ٢٢ - ٢٣

عقلية غامضة. ذلك لأن القرآن الكريم عرض الأدلة العقلية الفطرية في إثبات حقائق الوجود، قائمة على براهين عقلية منطقية واضحة جدا. ولكنها لايجازها البليغ تخفى على بعض الناس.

وانطلاقا من هذا المبدأ فإنه حشد معارف عصره العقلية والعلمية لتوسيع مداليل الأدلة القرآنية بطريقة عصرية وأسلوب حديث خلط فيه العقل بالعاطفة حتى يحدث تأثيره المطلوب في الجيل الجديد.

إذن فلقد أوجد النورسي في تركيا علم كلام قرآني بمعنى هذه الكلمة، فكان ذلك سببا مهما في نجاحه العظيم في المحافظة على العقائد الاسلامية السليمة وتركيزها في قلوب الناشئة، ورد الشبهات المعاصرة بالمنطق العقلي القرآني الواضح. وكان سلاحه في ذلك كله تعمقه في أسرار القرآن الكريم وذكاؤه الحاد في التأمل العميق أمام مشاهد الكون واستخراج الأمثال واللفتات التي تثبت وتوضح الدليل القرآني فتدخله إلى العقول والقلوب معا.

واستطاع النورسي بذلك نقل علم التوحيد من نظريات فكرية مجردة، يفهمها الخاصة إيمانا عقليا مجردا إلى سلوك في الحياة، ينفعل به العقل ويثير العاطفة ويتحول الى ممارسة يومية يحدد خط السير المستقيم للانسان المسلم ويحول بينه وبين الوقوع في الحرام.

إن علم الكلام استطاع في فترات الجدال العقلي بين الخاصة أن ينقذ الايمان العقلي ولكنه لم يستطع أن يصوغ حياة المسلم صياغة ربانية تحقق المعنى الحقيقي لعبودية الانسان لرب العالمين.

أي إن علم الكلام لتأثره الواضح بالمنهج الفلسفي الجاف لم يستطع أن يتحول إلى مدرسة للتربية الاجتماعية. ولذلك نرى أن مجرد ايمان المسلمين بالله لم يستطع أن ينقذ سلوكهم في العصور الأخيرة من كارثة البعد والشرود التي أدت إلى انحدارهم وسقوطهم وفقدان حقائق التوحيد من حياتهم.

إن النورسي استطاع أن يحدد المرض الخطير في جسم الأمة ثم عالجها معالجة قرآنية خالصة، فحوّل عقيدة التوحيد إلى حياة مفعمة بمعاني الاخلاص والاستقامة والتضحية والسلوك وحصن تلامذته والجيل الجديد بقاعدة إيمانية صلبة الحقت الهزيمة في بيئات كثيرة بالمذاهب المادية والأفكار الاباحية التي كانت تريد تحريف الانسان المسلم عن خط سيره الذي رسمه له القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

النورسي والاجتهاد:

موقف النورسي من حركة الاجتهاد كان ردّ فعل واقعي على حركة التغريب التي نفذتها الانقلابات الكمالية التي ارادت أن تصبغ المجتمع الاسلامي التركي بصبغة الحياة الأوربية جملة وتفصيلا. لقد رأى أن الدعوة الى الاجتهاد في مثل هذا الجو الذي لم يبق لضوابط الاسلام فيه أية قيمة، أمر لا معنى له، لأن

أي نوع من أنواع الاجتهادسيجري في داخل ضوابط الحياة الغربية الحديثة، إن من المنطقي أن كل فلسفة لها أسسها وقواعدها، ومعالجة أية قضية تتفرع منها لا يمكن أن تتم إلا في إطارها.

لقد رأى النورسي أن بعض العلماء الذين لا يحملون أي شرط من شروط الاجتهاد يسوغون كل التطورات اللادينية التي جرت في تركيا باسم الاجتهاد. إنه يؤمن بأن باب الاجتهاد مفتوح، ولكنه يعتقد أن هنالك موانع تحول دون الدخول فيه في الوقت الحاضر.

أولها: إن فتح أبواب جديدة في قصر الاسلام المنيف أو فتح الثغرات التي هي وسيلة لتسلل المخربين وبالأخص في زمن المنكرات الذي غلبت عليه العادات الأجنبية والبدع وفي عصر تخريبات الضلالة الرهيبة فانه جناية في حق الاسلام.

ثانيها: إن الانشغال بتقوية أصول الايمان وما هو قطعي ثابت بالنصوص التي تعرضت الى التشكيك والتخريب أفضل من الانشغال بأمور نظرية جزئية، لأن العقائد الاسلامية وأصولها التشريعية غدت في خطر كبير. فما فائدة الحديث عن الفروع؟

ثالثها: إن تحكم الفلسفة المادية ومظاهر الحضارة الغربية في حياة المسلمين اليوم اقحمتهم في هذه الحياة الدنيا وانستهم رضى الله سبحانه وتعالى. ولذلك فإن أي حديث عن الاجتهاد في مثل هذا الجو لا يكون مبنيا إلا على أسس بعيدة عن الورع

والتقوى.[48]

وقد انطلق النورسي في رأيه هذا من الايمان بالمراحل المتابعة في العمل الاسلامي. فبيئته التي عاش فيها كانت أشبه ما تكون بالعهد المكي، لأن الشكوك المتنوعة قد أدخلت إلى عقول الناشئة، والايمان نفسه كان يحتاج إلى تجدد وتقوية وتوضيح أمام سبل الغزو الذي شنته الفلسفات المادية على عقلية الجيل في المجتمع التركي المسلم يومئذ.

إذن فمن العبث في مثل هذا المجتمع أن نتحدث عن الأمور الفرعية ونجتهد فيها في الوقت الذي كان اعداء الاسلام يشنون فيه حربا ضروسا للقضاء على عقائده الجوهرية.

النورسي والتغير:

ينظر الأستاذ النورسي إلى الكون في رسائله جميعا على أنه موضع تجليات أسماء الله الحسنى، فكل ظاهرة تحدث فيه، إنما هي تعبير واقعي عن معانيها السامية وفي هذا يسير على طريق مفكري الاسلام كالغزالي والرازي الذين بينوا معاني تلك الأسماء وارتباطها الوثيق بما يحدث في الوجود كله.

وبناء على ذلك فإن كل تغير يحدث في الكون، فلابد أن يخضع للسنن الكونية التي تتجلى فيها تلك الأسماء السامية.

---

(٤٨) (الكلمات) ص: ٤٤٦-٤٥١. مجلة التربية الاسلامية. العدد/٤ لسنة/٢٦، وانظر تفصيل ذلك في رسالة «الاجتهاد» -ترجمة احسان قاسم.

لاسيما اسم «الحكيم» إذ في ضوء معناه وأسراره نستطيع أن نفسر أحداث الوجود، من خلال العلية الدقيقة والغائية المطردة في انتظام الكون. (٤٩)

ومن هنا فإنه يؤمن «بالنظام» ويبعد «الفوضى»، ويؤمن «بالتدرج» ولا يعتقد «بالطفرة».

فالنظام والتدرج هو أساس الوجود كله، وأي خروج عليه يعني إدخال الفساد عليه، وهو خروج واضح على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالقرآن هو الكون المقروء والسنة هي الكون المطبق في الحياة العملية. (٥٠)

وفي ضوء ذلك فإن النورسي يدعو إلى تغير اجتماعي منظم يتمسك بقانون التطور الفطري التدريجي، ويجب أن يبدأ من القاعدة ويصعد إلى القمة، لا العكس، لأن العكس سيؤدي إلى زعزعة الحياة الاجتماعية ويحصل منه شر مستطير وتخريب كبير.

فهو يقول:

«إن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه مالم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون بل تكون جميع أعماله لأجل التخريب والشر». (٥١)

---

(٤٩) الأسم الاعظم - النورسي - ترجمة: احسان قاسم الصالحي

(٥٠) كتاب (السنة النبوية: سنة كونية وحقيقة روحية) يفصّل هذه الفقرة. والكتاب من سلسلة قراءات في فكر النورسي: ترجمة: احسان قاسم الصالحي. تعليق: اديب الدباغ.

(٥١) (اللمعات) ص: ١٦٠

ويقول: «مثلما هو محال لجسم الانسان تجديد جميع ذراته دفعة واحدة وانشاء ذرات جديدة بدلا منها كذلك تتعذر على الدولة - إن لم يكن محالا - تغيير جميع موظفيها دفعة واحدة وإقامة موظفين جدد بدلا عنهم». [٥٢]

وينطلق النورسي في نظرته التغييرية هذه من القانون الكوني الذي يؤمن به أشد الايمان وهو:

«ان في الكون نزوعا الى الكمال لذلك فإن خلق الكون يتبع قانون التكامل». وبما أن الانسان هو ثمرة الكون وجزء منه فله حصته الموفورة من ذلك النزوع العام نحو الكمال، [٥٣]

إذن فلا بد أن يكون قانون التغير في حياته هو التغير التدريجي، حتى لا يختل توازن الحياة فيؤدي إلى نتائج عكسية.

ولا أشك أنه انتهى إلى هذا الرأي بعد أن استقرأ جميع الثورات الاجتماعية في العالم في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين، ومن ضمنها انقلاب الاتحاد والترقي والانقلابات الكمالية في بلده.

ولايمان الأستاذ بالتغير في إطار انتشار الوعي الاجتماعي والدعوة السلمية فإنه لايبيح الجهاد المسلح الداخلي الموجه إلى حكام المسلمين لأن ذلك لا يخدم من وجهة نظره إلا العدو الخارجي المتربص بالمجتمع الاسلامي من حيث هو كل.

---

(٥٢) (ديوان حرب عرفي) ص: ٦٧

(٥٣)Muhakemat (المحاكمات البديعية) - النورسي - ص: ١٣ - ١٤ وهي مقدمة لتفسيره اشارات الاعجاز في مظان الايجاز.

فهو يقول:

«إن الجهاد المسلح لا يحشد كليا إلا ضد العدو الخارجي، فالصراع المسلح داخل البلاد الاسلامية هو ما يصبو إليه العدو الخارجي، إذ أن سفك دماء المسلمين فيما بينهم أمر يهمهم».[٥٤]

ويضيف:

«إن الجهاد في أي مجتمع مسلم، إنما هو جهاد معنوي يوصل إليه عن طريق تنوير الأفكار وإصلاح القلوب والأرواح. ويكون جهادا إيجابيا بنّاء، لصد التخريبات المعنوية ويتصرف فيه وفق سر الاخلاص.. فهناك بون شاسع بين الجهاد في الخارج والجهاد في الداخل. فنحن نبذل قصارى جهودنا للحفاظ على استقرار البلاد وأمنها وفق العمل الايجابي البناء.. في هذا الوقت الفرق عظيم جدا بين الجهاد الداخلي والخارجي».[٥٥]

وقد طبق النورسي رأيه هذا عمليا في أثناء ثورة الشيخ سعيد بيران، أحد زعماء العشائر الكردية في شرق الاناضول. وقد وجه ثورته ضد سياسة مصطفى كمال الذي أثار نقمة الشعب باتجاهه المعادي للدين الاسلامي.

وقبيل اندلاع الثورة أرسل الشيخ سعيد إلى الأستاذ النورسي، حسين باشا رئيس إحدى العشائر الكردية. كي

(٥٤) (الشعاعات) ص: ٢٤٥

(٥٥) (ملحق اميرداغ): ٢ / ٢١٤

يستطلع رأيه في تلك الثورة والاشتراك فيها، فدار بينهما الحوار التالي :

حسين باشا: أريد أن استشيرك في أمر. ان جنودي حاضرون والخيول موجودة، وكذلك الأسلحة والذخائر وإنما انتظر أمرا منكم.

سعيد النورسي : ماذ تقول؟ ماالذي تنوي فعله؟ ومع من ستحارب؟

حسين باشا: مع مصطفى كمال.

سعيد النورسي : ومن هم جنود مصطفى كمال؟

حسين باشا: ماذا أقول: إنهم جنود!!

سعيد النورسي : إن جنوده هم أبناء هذا الوطن هم أقرباؤك وأقربائي. فمن تقتل؟ ومن سيقتلون؟ فكر. وافهم انك تريد أن يقتل الأخ أخاه...

حسين باشا: إن الموت لأفضل من مثل هذه الحياة.

سعيد النورسي : وما ذنب الحياة؟ إذا كنت قد مللت حياتك فما ذنب المسلمين المساكين؟

حسين باشا. متحيرا: لقد أفسدت علي عزيمتي ورغبتي ولا أدري كيف سأقابل عشيرتي التي هي بانتظار عودتي وسيظنون أنني جبنت. لقد أضعت قيمتي بين العشيرة.

سعيد النورسي : وماذا لو كانت قيمتك صفرا بين الناس وكنت مقبولا عند الله تعالى؟

حسين باشا: إنني أريد من ثورتي تطبيق الشريعة

الاسلامية.

سعيد النورسي: أتريد تطبيق الشريعة الاسلامية؟ إن تطبيق الشريعة لا تكون بهذه الطريقة، فلو قلت لك يا حسين باشا تعال مع جنودك الثلثمائة لتطبيق الشريعة الاسلامية، فإن جنودك وهم في طريقهم إلى هنا سيقومون بنهب وسلب وقتل كل من يمرون عليهم في الطريق وهذا مخالف للشريعة.(٥٦)

وكما توقع النورسي فقد اخفقت حركة الشيخ سعيد، لأنها لم تنطلق من الوعي الاسلامي الشامل والأعداد الكامل، وكانت نتائجها وخيمة، فقد اشتدت الحملة على الاسلام وأهله أكثر من ذي قبل، وانتهك اللادينيون فيها كرامة الشعب المسلم تدميرا وقتلا وإفسادا وإبعاداً له عن كل ما يمت إلى الاسلام بصلة. بينما استمر النورسي في تطبيق نظريته التغييرية عن طريق نشر حقائق الاسلام بالأدلة والبرهان وتكوين الجيل المؤمن الصالح وبث الوعي الاسلامي بخطورة الحملة الشرسة على الاسلام والمسلمين، وتهيئة صفوف الأمة للوقوف أمام الموجة اللادينية الطاغية ونقل التربية الاسلامية إلى داخل البيوت.

وعلى الرغم من أنه لم ينج - كما بينا - من السجن والتشريد والنفي إلا أن أسلوبه قد نجح إلى حد بعيد. ولو أن باحثا منصفا تابع تطور الحياة في تركيا في النصف القرن الأخير وجد كيف أن

(٥٦) (سعيد النورسي وجوانب مجهولة من حياته). ص: ٢٥٣ - ٢٥٤

خطة النورسي آتت ثمرتها اليانعة، فبنت على الرغم من العقبات الكؤود، مدرسة إسلامية روحية ثقافية كبيرة، وارفة الظلال، انتهت إلى إحداث وعي إسلامي قوي وقف أمام الكفر وأهوى بمعاول التوحيد الحق على مراكز الثقافة الفكرية والاجتماعية التي تفرعت من المدارس المادية التي سادت في القرن الأخير، الأمر الذي ظهرت نتائجه في انتخابات عام ١٩٥٠م المشهورة في تركيا، وما تبعها من الصحوة الاسلامية العامة، وبدء عودة المجتمع في كثير من مظاهر حياته إلى عقيدته وحضارته الاسلامية.

النورسي والتصوف:

كان النورسي زاهدا يدعو إلى تطهير النفس والاخلاص لله وإنقاذ الايمان من مخاطر الفلسفات المادية، ولم يكن صوفيا[٥٧] صاحب طريقة يحيط نفسه بهالة المظاهر البدعية الباطلة.

لقد كان يعتقد أن عصره هو عصر إظهار حقائق الاسلام وتقوية الايمان أمام الغزو الثقافي الفكري المركز الذي شنته الدوائر الاستعمارية في ظل حراب جيوشها على الأمة الاسلامية.

يردد الأستاذ في رسائله:

«إن هذا العصر ليس بعصر تصوف وطريقة، وإنما هو عصر

---

(٥٧) الاخلاص والاخوة - النورسي - ترجمة: احسان قاسم الصالحي - ص: ٤٠

إنقاذ الايمان»[٥٨] ويقول موضحا نظرته.

«لو كان الشيخ عبدالقادر الكيلاني والشاه النقشبندي والامام الرباني وأمثالهم من الأشخاص العظام رضوان الله عليهم أجمعين، لو كانوا في عصرنا هذا لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الايمانية والعقائد الاسلامية. ذلك لأن منشأ السعادة الأبدية فيهما. وأي تقصير يعني الشقاء الأبدي إذ لا يمكن الدخول إلى الجنة دون إيمان بينما هناك الكثيرون يدخلونها دون تصوف». [٥٩]

ويعتقد أن الطرق الصوفية في هذا العصر لاتستطيع الوقوف أمام قوة الهجوم المشكك في الاسلام لأنها تعتمد على التجربة الذاتية ولا تعتمد في إدراك الحقائق على البراهين المنطقية والحجج العقلية والأدلة العلمية التي هي صفة هذا العصر وما يموج فيه من تيارات وفلسفات، ومن هنا فان الأستاذ أدرك هذه الحقيقة العصرية فشق الطريق إلى الحقيقة من خلال العلم وفتح طريق «الولاية الكبرى» ضمن علم الكلام الجديد القائم على أساس الاستقراء والملاحظة في المنهج الاسلامي الجديد والمنهج العلمي الحديث. لذلك فانه استطاع إنقاذ مئات الألوف من المثقفين المحدثين من أزمة الزيغ والانحراف والالحاد[٦٠]

---

(٥٨) (ملحق اميرداغ) ١ / ٢٨

(٥٩) Mektubat (المكتوبات - النورسي - المكتوب الخامس. السنة النبوية: سنة كونية وحقيقة روحية. ص: ١٥٥

(٦٠) (ملحق اميرداغ) ١ / ٩٠

وفي رسالته حول « الولاية والتصوف»[61] عالج موضوع التصوف وانتهى إلى أن هذه الدنيا هي دار حركة وعمل وسعي وليست دار جزاء وثواب. لذا فلا تطلب فيها اللذائذ والاذواق ولا يقصد فيها الكرامات. وإنما ينبغي فيها الالتزام بالشريعة، لأن الحقيقة والطريقة وسيلتان لخدمة الشريعة.

ولا ينسى أن ينبه على بدع وانحرافات المتصوفة في الرسالة نفسها ويرد على القائلين بوحدة الوجود، ووحدة الشهود بحجج قوية منطقية قرآنية، ويحذر من قراءة كتبهم واتباع مناهجهم في الفهم لأنها مناهج مخالفة لمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ويقول النورسي:

«إن طريقة محي الدين بن عربي ومنهجه في الحصول على الاطمئنان القلبي الدائم هي في قوله «لا موجود إلا هو» إلى أن انتهى به الأمر إلى إنكار الكائنات قاطبة. وهناك آخرون قالوا: «لا مشهود إلا هو» لأجل الحصول على ذلك الاطمئنان فأوصلهم إلى حالة عجيبة حيث اسدلوا ستار النسيان على الكائنات.

أما المعرفة المستقاة من القرآن الكريم فإنها تسكب الاطمئنان الكامل في القلب دون أن تحكم (بالعدم) على الكائنات ودون أن تسجنها في النسيان المطلق. وإنما تنقذ الكائنات من العبث وتجعلها مسخرة لله سبحانه وتعالى. فيغدو

(٦١) رسالة «التلويحات التسعة» - انظر (السنة النبوية: سنة كونية وحقيقة مروحية).

كل شيء في الوجود عندئذ مرآة لمعرفته سبحانه . ان هناك في كل شيء نافذة تطل على معرفة الخالق» . [٦٢]

إذن فالنورسي كان زاهد وورعا وكان يقظ القلب والوجدان مستغرقا في حب الله ورسوله. ولم يكن صوفيا بالمعنى الاصطلاحي وكان اتجاهه الروحاني جزءاً لا يتجزأ من شخصيته الاسلامية المتكاملة .

ولذلك كانت رسائله التي كتبها تخطيطا إسلاميا إيمانيا جادا لصياغة بنية الانسان المسلم صياغة جديدة قائمة على أساس المذهبية الاسلامية الشاملة في الوجود، ولم تكن حلا مرحليا يعالج قضية طاغية على الحياة من خلال ظروف زمانية ومكانية معينة .

لقد ابتعد المسلمون نتيجة لعوامل كثيرة عن الله سبحانه وتعالى في مجال عقيدتهم وفكرهم وسلوكهم ، فأراد النورسي أن يجدد حب الله في النفوس الخامدة والقلوب الهامدة التي تلطخت بحب الشهوات وما تؤدي إليها من بهارج الحياة .

وهذا لا يعني قتل الحياة والمادة ، ولكن يعني أن يستقيم كيان الانسان ويتوازن في صراع الحياة ، حتى يحافظ على إنسانيته ولا يسقط في حمأة الحيوانية الهابطة .

يقول :

«فحبك للأطعمة الشهية وتذوق الفاكهة الطيبة مع التذكر

---

(٦٢) السنة النبوية : سنة كونية وحقيقة روحية . ص : ١٥١

بأنها إحسان من الله سبحانه وإنعام من الرحمن الرحيم، يعني المحبة لاسم «الرحمن» واسم «المنعم» من الأسماء الحسنى. وهذا هو الشكر المعنوي.

واحترامك ومحبتك للوالدين إنما يعودان إلى محبتك الله سبحانه، إذ هو الذي غرس فيهما تلك الرحمة والشفقة حتى قاما برعايتك وتربيتك بكل رحمة وحكمة.

وحبك للدنيا والشغف بها ينقلب إلى حب لوجه الله تعالى فيما إذا كان النظر إليها من زاوية أنها مزرعة للآخرة ومرايا الأسماء الحسنى ورسائل الٰهية إلى الوجود مع كونها دار ضيافة مؤقتة وعلى شرط ألا تتدخل النفس الأمارة بالسوء.

وهكذا فإن أنواع المحبة إن وجهت الوجهة الصائبة فإنها تكون لله وفي سبيل الله وعندئذ فقط تصبح لذة بلا ألم ووصالا بلا زوال أو فناء وستزيد من محبة الله سبحانه وتعالى». (٦٣)

ويضع النورسي في مقالته الرائعة «الوسوسة وعلاجها» (٦٤) معالم واضحة يستطيع المسلم أن يستدل بها في محاربة الأوهام والخيالات التي هي كالسياط بيد الشيطان كي يلهب بها ظهور بني آدم حتى تفسد فطرته ويحرف قلبه عن حقائق الحياة.

ويقول: إن العلم بحقائق الاسلام هو طريق القضاء على الوساوس وأن الجهل بها هو الطريق السهل الذي يؤدي بالانسان

---

(٦٣) (الكلمات) ص: ٥٩٧ - ٥٩٧. وقطوف من ازاهير النور ص: ١٧١ - ١٧٥

(٦٤) كلمات صغيرة ص: ٩٢ - ١٠٣

إلى جحيم الوساوس والحق ان المسلم الذي لا يمشي في طريق الايمان يسمع صدى الخيالات والأوهام الشيطانية فيتردى ويضيع طريق الله سبحانه وتعالى.

وطريق الايمان منطلقه الحق هو الاخلاص الذي هو محور حركة المؤمن في أعماله كلها. ولذلك فان النورسي يؤكد على ذلك في رسائل كثيرة لاسيما رسالته في «الاخلاص» التي أفردها للحديث المستفيض عنه.

ونستطيع أن نعد معالجات النورسي هذه جزء من منهجه في تصفية القلب وإبعاده عن كل ما يحول بينه وبين العبودية الحقة لخالق السموات والأرض.

النورسي والحضارة الغربية:

النورسي من منطلق كونه مفكرا إسلاميا يرفض الأسس الثقافية في الحضارة الغربية بدءاً من عصر اليونان إلى اليوم. حيث نلاحظ في رسالته «أنا» تحليلا رائعا للفلسفات اليونانية كلها وتبيان تفاهتها أمام أستاذية القرآن الكريم والمنهج العلمي الاستقرائي والقياس الذي وضعه لفهم حقائق الوجود. ويحدد موقف الاسلام بدقة ممن انجرف معهم من الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا قائلا: **«إن هؤلاء الأذكياء لم ينالوا سوى أدنى درجة من درجات الايمان»**[٦٥] يحاول في رسائله كلها قطع جذور الثقافة الغربية وتأثيرها في الثقافة الاسلامية المعاصرة، لأنها

---

(٦٥) (الكلمات) ص: ٥٠٦ - ٥١٢

انطلقت من مبادي الفلسفات الجاحدة والتي أوجدت حالة من القلق والفوضى الفكرية والتشكيك والالحاد في العالم الاسلامي مستغلا تأخر المسلمين وجهلهم بدينهم.

والحق أن موقف النورسي من الفلسفة من حيث هي ليس موقفا عدائيا، وإنما هو فقط يميز بين الفلسفة المؤمنة الخادمة والفلسفة الجاحدة التي ترفض مبادىء الدين الحق (الوحي الالهي) أي أنه يؤمن بطريق العقل المنطقي مصدرا من مصادر المعرفة ويرفض تحريف العقل من خلال مذاهب فلسفية معينة.

«فالفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية وتعين الأخلاق والمثل الانسانية وتمهد للرقي الصناعي فهي في وفاق ومصالحه مع القرآن بل هي خادمة لحكمة القرآن فلا تعارضها ولا يمكنها ذلك. وأما الفلسفة التي غدت وسيلة للتردي في الضلالة والالحاد والسقوط في هاوية المستنقع الآسن للطبيعة فإنها تنتج السفاهة واللهو والغفلة والضلالة وتعارض الحقائق القرآنية». (٦٦)

وأما موقفه من الجوانب العلمية من الحضارة الغربية، فهو موقف المسلم الذي فرض عليه الاسلام أن يتحرك لاكتشاف قوانين الحياة والاستفادة منها لأقامة الحضارة وبناء التقدم.

ولذلك فإنه دعا المسلمين إلى الأخذ بأسباب الحضارة

(٦٦) مقدمة كتاب: Asa- Yi Musa . (عصا موسى).

الصناعية، لأنها من ضرورات إقامة الحياة القوية.

ويعتقد النورسي بأن تجديد المجتمعات الاسلامية يحتاج إلى تبني «التكنولوجية» الحديثة مع المحافظة على القيم الذاتية، فينبغي اتخاذ اليابان قدوة في أخذهم الحضارة الغربية مع احتفاظهم بمقوماتهم القومية.[٦٧]

ويذهب الأستاذ إلى أن مجيء الحضارة من الغرب وأهله غير مسلمين لا يكون دليلا على حرمة الأخذ بها:

«كما لابد أن يكون الدليل قطعي المتن، يلزم ان يكون قطعي الدلالة أيضا، مع ان للاحتمال فيها مجالاً. لأن النهي القرآني: ﴿لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء..﴾ ليس بعام بل مطلق، والمطلق قد يقيد. والزمان مفّسر عظيم، فاذا اظهر قيده فلا يُعترض عليه. مع ان الحكم على المشتق يفيد علّية مأخذ الاشتقاق للحكم. فاذن المنهي عنه في الآية الكريمة هومحبتهم من حيث ديانتهم اليهودية والنصرانية. وايضاً لا يكون المرء محبوباً لذاته بل لصفته وصنعته، لذا فكما لا يلزم ان تكون كل صفات المسلم مسلمة، كذلك لا يلزم ان تكون كل صفات غير المسلم كافرة. فعلى هذا اذا استحسنا واقتبسنا صفة وصنعة مسلمتين في غير مسلم أفلا يجوز؟ فان تزوج أحدٌ كتابية أفلا يحبها؟..»[٦٨]

---

(٦٧) (ديوان حرب عرفي) ص: ٦٢

(٦٨)Mūnazerat (المناظرات) - النورسي - ص: ٢٦ - ٢٧

وللنورسي في ثنايا رسائله تحليلات دقيقة للحضارة الغربية، فمنها قوله:

«إن الحضارة الحديثة تستند بفلسفتها إلى القوة في نظرتها إلى الحياة الاجتماعية البشرية وتتخذ من المنفعة هدفا لها، وترى أن الحياة تستند إلى النظرة الجدلية وتعد العنصرية هي الرابطة للجماعة البشرية وغايتها اشباع الغرائز.

والحال أن غاية القوة تنتهي إلى التجاوز وغاية المنفعة الصراع على اقتنائها وغاية الجدل إلى التعدي وابتلاع غيرها.

وبناء على ذلك، فإنه من أسس هذه المدنية مع ما فيها من محاسن أن لاتحقق السعادة للجزء الأعظم من البشرية المستظلة بظلها، بل قادتْها إلى الانحطاط والاضطراب وعدم الراحة على الرغم من تحقيق السعادة الصورية للقسم الأقل منها.

ومقابل ذلك فإن الحكمة القرآنية تنطلق من وضع الحق مكان القوة.وتضع الفضيلة ورضى الله مكان المنفعة وتجعلها غاية في ذاته وتتخذ دستور التعاون أساس الحياة الاجتماعية، بدلا من دستور الجدل والصراع.وتضع الرابطة الدينية القائمة على أساس النزعة الانسانية الفاضلة أمام الانغلاق العنصري في استعلائها وتجاوزها.

ويضع الاسلام سدا منيعا أمام انحرافات الغرائز وجموحها مع دفع الروح إلى معالي الأمور وتطمين الأحاسيس النبيلة وتهذيبها واشباعها وسوق الانسان إلى الكمالات الانسانية الفطرية. إن شأن الحق هو الاتفاق، وشأن الفضيلة التساند،

وشأن التعاون هو السعي لاغاثة الآخرين، وشأن الدين الأخوة، والمحبة الخالصة وشأن إلجام النفس الامارة بالسوء وإطلاق الروح إلى الكمالات هو سعادة الدارين.

ولذلك فإن المدنية الحاضرة مع ما اقتبستها من الأديان السماوية لاسيما مبادىء القرآن الكريم، فإنها وقعت صريعة أمام الحقائق القرآنية.(٦٩)

ومجمل القول:

فلقد انبثق النورسي انبثاق البدر في حلكات الظلام وأدى دورا تجديديا عظيما في تاريخ تركيا الحديثة.

وكان العالم المفكر الذي فهم بعمق حقائق الاسلام وأدرك بذكاء المرحلة الحرجة التي كان يمر بها المجتمع الاسلامي.

وكان المربي الفاضل الذي عرف طريق الدعوة الاسلامية الصادقة والتربية الايمانية العالية.

وكان الداعية الصلب الذي لم تلن قناته ولم يتزعزع يوما أمام المغريات والتهديات ومتطلبات الجهاد ومشقاته الكثيرة المتنوعة.

وكان الامام الزاهد الذي ينظر بنور الله فيسلطه على الباطل فيزهقه. ولذلك فتح الله على يديه وهدى به أقواما، وقاد الركب الاسلامي الصاعد إلى مواطن الايمان والقوة والشجاعة والوقوف

---

(٦٩) (الكلمات) ص: ١١٩

أمام الباطل. فاستحق أن يأخذ مكانه في عالم الخالدين من الأئمة الصادقين أولياء الله المجاهدين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

الدكتور محسن عبدالحميد



صورة الاستاذ / النورسي اثناء ادائه الصلاة في فترة
محاكمته في آفيون

المصادر العربية

أ- مؤلفات بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي :

١- الآية الكبرى - مطبعة العاني - بغداد / ١٩٨٣

٢- قطوف من ازاهير النور - مطبعة العاني بغداد / ١٩٨٣

٣- الحشر / ط ٢ - مطبعة العاني - بغداد / ١٩٨٤

٤- الملائكة وبقاء الروح والحياة الآخرة - مطبعة الزهراء الحديثة - الموصل/١٩٨٤ .

٥- السنة النبوية : سنة كونية وحقيقة روحية - مطبعة الشعب - بغداد / ١٩٨٥

٦- الاخلاص والاخوة - مطبعة الشعب - بغداد / ١٩٨٥

٧- النوافذ - مطبعة الزهراء الحديثة - الموصل / ١٩٨٥

٨- حقيقة التوحيد - مطبعة العاني - بغداد /١٩٨٥

٩- كلمات صغيرة في العبادة والعقيدة - مطبعة الخلود - بغداد / ١٩٨٦

١٠- الايمان وتكامل الانسان - مطبعة الخلود - بغداد / ١٩٨٤

١١- الطبيعة - مطبعة الزهراء الحديثة - الموصل / ١٩٨٥

١٢- الاسم الاعظم - مطبعة الزهراء الحديثة - الموصل / ١٩٨٧

١٣- بديع الزمان سعيد النورسي - نظرة عامة عن حياته وآثاره- تأليف : احسان قاسم الصالحي - دار نشر سوزلر- استانبول/١٩٨٧ .

ب- مؤلفات اخرى لبديع الزمان سعيد النورسي - ترجمة : عاصم الحسيني

١- الخطبة الشامية - مطبعة البوليسية - بيروت / ١٩٧٤

٢- رسائل النور لا تنطفيء - مؤسسة الخدمات الاجتماعية - بيروت / ١٩٧٤

ج- مصادر اخرى

١- من الفكر والقلب : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - مكتبة الفارابي - بيروت / ١٩٧٢

٢- سيرة امام مجدد - بدون مؤلف - مؤسسة الخدمات الاجتماعية - بيروت / ١٩٧٢

د- ومصادر اخرى ذكرت في الهوامش .

المصادر التركية

١ - مؤلفات بديع الزمان سعيد النورسي :

1- Sözler, Sözler Yayınevi, 1977 Ist.

2- Mektubat, Renk Ofset, 1977 Ist.

3- Lemalar, Doğu Mat, 1957 Ist.

4- Şualar, Çeltut Mat, 1960 Ist.

5- Kastamonu Lahikasi, Sinan Mat, 1960 Ist.

6- Emirdağ Lahikasi, Sinan Mat, 1959 Ist.

7- Asa-ul Musa, Sözler Yayinevi, 1978 Ist.

8- Muhakemat, Sözler Yayınevi, 1977 Ist.

9- Munazarat, Sözler Yayınevi, 1978 Ist.

10- Divan-i Harb-i Örfi, Sözler Yayınevi, 1995 Ist.

٢ - مصادر تركية اخرى.

1- Bilinmeyen Taraflariyle Bediüzzaman Said Nursi, Necmeddin Şahiner, 6. Baski, Yeni Asya Yayinlari, 1979 Ist.

2- Aydinlar Konuşuyor, N. Şahiner, Y. Asya Yayinevi, 1978 Ist.

3- Risale-i Nur Kulliyati Müellifi S. Nursi (Tarihçe-i Hayat), Elif Ofset, 1976, Ist.

(اعدّ هذه السيرة الذاتية طلابه المقربون اليه وأقرّها بنفسه).

4- Hayat Ansiklopedisi, 1932 Ist.

Osmamli Tarihi Kronolojisi, Ismail Hami Damişmend, Turkiye Yayinevi, 1955 Ist.

﴿ فهرس ﴾

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٠١٩ لسنة ١٩٨٧

﴿ طبع في شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة بالموصل ﴾

إذن فلقد اوجد النورسي في تركيا علم كلام قرآني بمعنى هذه الكلمة، فكان ذلك سببا مهما في نجاحه العظيم في المحافظة على العقائد الاسلامية السليمة وتركيزها في قلوب الناشئة، ورد الشبهات المعاصرة بالمنطق العقلي القرآني الواضح. وكان سلاحه في ذلك كله تعمقه في أسرار القرآن الكريم وذكاؤه الحاد في التأمل العميق أمام مشاهد الكون واستخراج الأمثال واللفتات التي تثبت وتوضح الدليل القرآني فتدخله إلى العقول والقلوب معا.

واستطاع النورسي بذلك نقل علم التوحيد من نظريات فكرية مجردة، يفهمها الخاصة إيمانا عقليا مجردا إلى سلوك في الحياة، ينفعل به العقل ويثير العاطفة ويتحول الى ممارسة يومية يحدد خط السير المستقيم للانسان المسلم ويحول بينه وبين الوقوع في الحرام.

الدكتور محسن عبدالحميد

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٠١٩ لسنة ١٩٨٧

